وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مسعود عبدالخالق

الإسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الأول

أربيل - 2017

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي بن طلال للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الأول

إعداد

مسعود عبدالخالق

أربيل - 2017

إشراف

الدكتور عبدالله علي علياوي

رسالة لنيل شهادة ماجستير الفلسفة **MPhil**

الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن) 1428هـ - 2007م

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
الفصل الأول: العلمانية والإسلام	6
▪ المبحث الأول: مفهوم العلمانية.	8
المطلب الأول:العلمانية، لغة ومصطلحا.	8
المطلب الثاني: نشأة وتطور العلمانية.	11
المطلب الثالث: عوامل القوة العلمانية ومقوماتها.	17
▪ المبحث الثاني: مفهوم الإسلام	20
المطلب الأول: رؤية فلسفية عن الإسلام.	22
المطلب الثاني: الإسلام والإسلامية.	24
المطلب الثالث: العلمانية في العالم الإسلامي	26
▪ المبحث الثالث: نشأة الدولة بين العلمانية والإسلامية.	36
المطلب الأول: مفهوم الدولة.	36
المطلب الثاني: عناصر نشأة الدولة.	39
المطلب الثالث: تحديد (الأثر العلماني والإسلامي في نشأة الدولة)العراقية	51

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المقدمة

بعد سقوط الخلافة الإسلامية في 1924/3/3م بشكل نهائي، اجتاحت العالم الإسلامي موجة من الأفكار والنظريات وضعية غربية،منها فكرية وعقيدية ادت الى نشوء العلمانية والإسلامية ،ومنها سياسية وقانونية ادت الى تقسيم العالم الإسلامى الى دويلات على وفق الإتفاقيات الدولية، وقد بنيت الدويلات المذكورة (في أحسن حالها) على اساس الرابطة القومية العلمانية بعيدة عن التراث والأثر الإسلامي، وكان العراق إحدى هذه الدويلات التي نشأت عام 1921م بين أحضان الإستعمار وفي ظروف عالمية وإقليمية مميزة كالآتي:

1- انهيار الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية وانتصار الحلفاء، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، الذي أدى الى تحول ما تبقى من الإمبراطوريات الى الدول الحديثة.

2- احتلال المنطقة وتقسيمها على وفق اتفاقية سايكس-بيكو 1916 وسيفر 1920من قبل الإستعمار بالتعاون مع العلمانية المحلية ، وانشاء دويلات قطرية وقومية فيها على وفق مشروع استعماري- صهيوني.

3- اخفاق المقاومة والثورة[1] الشعبية الإسلامية ضد هذا المشروع.

4- وقد نشأت هذه الدويلات في المنطقة لاسيما الدولة العراقية دون ارادة السكان فيها، وذلك في ظل المؤسسة القانونية الدولية الوحيدة (وهي عصبة الأمم) التي لم يصدر عنها حق تقرير المصيرللشعوب، بل كانت عبارة عن غطاء قانوني للمشروع الإستعماري الصهيوني ضد العالم الإسلامي آنذاك.

لذا: فإن طبيعة موضوع الدولة العراقية الحديثة معقد وله أوجه مختلفة، فالدول الغربية تظاهرت كأنها محررة للشعوب من خلال بياناتها ووعودها قبل وأثناء الحرب ، في حين أن أهدافها المبيتة هي تحقيق الغايات الإستعمارية والصهيونية كما تبين فيما بعد، من الخلال قرار تكوين العراق وبقية الدويلات في الشرق الأوسط الذى جاء مع قرار تكوين كيان إسرائيل في المنطقة عبر وعد بلفور عام 1917م.

لذلك هناك خلاف عميق حول مجموعة من الأسئلة الخالدة فيما يتعلق بنيات الإستعمار من وراء تكوين هذه الدويلات وتقسيم العالم الإسلامي والعربي والكوردي ووضع الحدود بينه وبين أبناء الشعب الواحد أحياناً، فهل هذه الخطوة مكافئة أم محاسبة لشعوب المنطقة؟ ففي البداية كان التيار القومي العريض والإسلاميون يعارضون هذا المشروع، وبعد ذلك بقي الإسلاميون لوحدهم لحد الآن معارضين لهذا الإجراء الخطير،على الرغم من أن التيار القومي -حتى الحكام -يقرون بأن هذه الحدود مصطنعة، وان العالم العربي والوطن العربي واحد، فمثلا جاء في البيان الأول لثورة 8 من آذار 1963 في سوريا: ((وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم وانه يعيشون دائماً وأبداً في حدود الوطن العربي الكبير)).[2] ، بينما لا يقرون بكل صراحة ان هذه الدويلات أيضاً مصطنعة ومن آثارالإستعمارية، وهذه هى نقطة الخلاف الأساسية بين العلمانية والإسلامية، بحيث أن الأول أيد هذا المشروع وكان يديره ولازال متمسك به، بينما الثاني قام بالثورة ضده ولايزال هدفه محو هذه الآثار.

أهمية الموضوع:

[1] في هذا البحث نقصد بالمقاومة تلك الفترة التي زحفت قوات بريطانيا الى داخل العراق، أما الثورة فهي عمليات وانتفاضة العسكرية التي قامت بها الشعب بعد سيطرة على العراق من قبل البريطانيا

[2] الموسوعة السياسية- النسخة الأصلية- نص البيان- ص 701 ملحق

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أن موضوع نشأة الدولة العراقية فيه أهمية مميزة، حيث أن معظم المؤرخين(العلمانين) حاولوا إبعاد العلاقة بين تكوين الدولة العراقية والمشروع الإستعماري الصهيوني في المنطقة، وبسببهاعانت وتعانى البلدان العربيةلاسيما العراق من مشاكل سياسية وإجتماعية وحضارية ومشاكل الحكام مع شعوبهم ومع الشعوب غير عربية، وخضوعهم للمخططات التوسعية الإسرائيلية والغربية، وأحياناً حارساً لهما. وحقق ما تنبأ به(شكيب أرسلان) عام 1930 بعد انهيار الخلافة الإسلامية وقال: تحول العرب بعد الخلافة خدم للأجانب[3]، ويمكن القول فضلاًعن ذلك بأن بقاءوإستمرارهذا التقسيم والتمسك بالدويلات- بما في ذلك العراق- خدمة مجانية لمشروعي الإستعمار والصهيونية.

بينما حاول الباحثون والمؤرخون المذكورون محاولة يائسة ربط نشأة هذه الدولة بجهود الحركة الوطنية العراقية، وساوت فيها بين الأطراف التي ساومت بالذهب والمال والمنصب مع المحتل والثورة المندلعة ضده. وهناك علاقة عضوية بين المشروع الإستعماري وما آلت اليه أوضاع العراق من عدم الإستقرار والتخلف والتمزق والدكتاتوريات والمشكلات العرقية والطائفية الموجودة فيها، وذلك أدى الى تعطيل دوره وواجباته تجاه القضايا المصيرية.

الهدف من البحث:

نحاول في حدود امكانياتنا العلمية المتواضعة الكشف عن أثر الإسلاميين والعلمانيين في نشأةالدولة العراقية الحديثة، والبحث عن الطرف الذى تعاون مع الإستعمار، والطرف الذى قام بالثورة ضده، وبالتالي تحديد مسؤولية الأوضاع السيئة للعالم العربي بشكل عام والعراق خصوصاً، ونحاول أن نكشف الأهداف الإستعمارية من وراء تكوين هذه الدويلات وذلك بفتح اللغز التالي: ان بريطانيا بطبيعتها الإستعمارية تأتي الى المنطقة بالقوة وتخسر ألاف من جنودها وضباطها، وتصرف أموالاً طائلة لتكوين الدول للعرب بما فيها العراق، وقد بذلت جهوداً غير قليلة في سبيل اكمال مؤسسات ومتطلبات الدولة كالحكومة والبرلمان والجيش والملك، وتثبيت الحدود وأخيراً ادخالها الى عصبة الأمم كدولة مستقلة، ويهديها الى شعب العراقي!، هل هذاالمنطق يتفق مع طبيعة الإستعمار ومباديء الرأسمالية والليبرالية المصلحية؟ اليس وراءها خطة كبرى؟ نحاول أن نفك هذا اللغز، ونبحث عما إذا كان مشروع نشأة الدولة العراقية مشروعاً استعمارياً أم نتاج الحركة الوطنية العراقية؟

أهم مشاكل البحث:

واجهتني أثناء البحث المشاكل العلمية والفنية التالية:

1- لم استطع الحصول مباشرة على المواثيق البريطانية والعثمانية المتعلقة بشؤون الولايات العراقية بشكل وافى.

2- ان المؤرخين الذين كتبوا عن العراق في ظل الصحوة القومية وإرضاءاً لأمر الواقع حاولوا صياغة أساس تأريخي وحضاري وقانوني وسياسي وثوري ووطني ذاتى لتكوين دولة عراقية، ويلاحظ أن هناك فجوة وحلقات مفقودة أثناء مراحل نشأة الدولة العراقية، حيث يبدأون بأساس تأريخي عميق، وتأريخ لظهور الحركة الوطنية والقومية ويتحدثون عن الثورة، بينما فشلت الثورة ووصلت الى طريق مسدود. ومن هنا يقذفون الى المسار البريطاني لهذه النشأة. وهي الفجوة والحلقة المفقودة التي لايمكن ربطهما، لأنهما يمثلان تأريخين وإرادتين وهدفين متباعدين ومتصارعين، لذلك تواجه أي باحث صعوبات بالغة في الحصول على معلومات حقيقية حول نشأتها الحقيقية من حيث الدوافع والأهداف والأطراف المشاركة.

[3] موفق بنى مرجة- صحوةرجل المريض.–دارالكويت للصحافة-الكويت . ص137

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

3- ويلاحظ أن المؤلفات التي صدرت بعد تكوين الدولة العراقية حول تأريخ هذه المنطقة، تُرجم فيها كل هذه الأسماء (بلاد مابين النهرين...، مسوبوتاميا، بلاد بابل، بلاد آشور، سواد، ...الخ) ب(العراق)، وقاموا أيضاً بتصنيف الحوادث التأريخية والحضارية والعلمية التي وقعت على هذه الأرض الى تأريخ العراق، ويظهر للقاريء كأن العراق بهذاالحجم والحدود والمكونات يملك جذورا تأريخية وسياسية واجتماعية وحضارية تمتد الى آلاف السنين، بينما الحقيقة يبدأ تاريخ العراق السياسي بعد الحرب العالمية الأولى عندما أختارت بريطانيا الولايات الثلاثة المعروفة ضمن 32 ولاية عثمانية لتكوينها.

منهج وخطة البحث:

إعتمدت مناهج عدة منها: التأريخية والسياسية والتحليلية والمقارنة، وحاولت أن أبتعد عن العواطف ومسالك تقليدية واثر الأمر الواقع،ومن جهة اخرى ابتعدت عن نظريات المسماة ب(نظرية المؤامرة)، بل إلتزمت بالبحث الموضوعى عن الحقائق حول نشأة الدولة العراقية بين المؤثرات الثلاثة الرئيسية: العلمانية، والإسلامية ودور الإستعمار البريطاني فيها، وبما أن الأثرالإسلامي و العلماني في هذه العملية أقرب من بحوث فكرية وفلسفية مطولة، وعند تلخيصها أحياناً يحتاج قراءة مركزة، لاسيما وأني لم أعتمد كثيرا على نقل النص، بل أخذت الفكرة عنه بغية اختصارها.

و بناء على ذلك تم تقسيم البحث حسب الفصول والمباحث كالآتي:

عنوان البحث: الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة.ومكونة من ثلاثة فصول، وكل الفصل مكونة من ثلاثة مباحث وكل المبحث مكونة من ثلاثة مطالب .

ففى الفصل الأول تناولت التعريف بالعلمانية ونشأتها، وكيفية دخولها الى العالم الإسلامي، وقارنت بينها وبين الفكر الإسلامي حول نشأة الدولة، وفى الفصل الثانى تناولت الظروف العالمية والإقليمية والداخلية قبل نشوء الدولة العراقية .

وفى الفصل الثالث والأخير تناولت شيئاً من التفصيل حول الأثر العلماني والدور الإستعمارى من جهة، ومن جهة أخرى الأثر الإسلامي فى رسم خريطة المنطقة والعراق بشكل خاص، ومراحل نشأة الدولة العراقية وأهم مؤسساتها، وخرجنا بإستنتاج مفاده أن خطة تكوين الدولة لم يكن مكافأةً لشعوب المنطقة، وإنما محاسبة شديدة إستمرت اثارها لحد الأن .

وقد قاومت الإسلاميون هذه الخطة على الأغلب وساومت العلمانية فيها، فغلبت الثانى وأفشلت الأول .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الفصل الأول

العلمانية والإسلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في هذا الفصل نشير الى تعاريف العلمانية ومقاصدها وظروف نشأتها وتطورها، وكذلك عوامل إنتشارها في العالم الإسلامي وأهم مبررات ومقومات بقائها، وأثرها في تكوين الكيانات السياسية والمدارس ودساتيرالدول. ثم نتناول الإسلام وخطوطه العريضة، وعناصر قوة إدامته، وأهم جوانبه السياسية وأوجه إختلافاته مع العلمانية.

والقصد من دراسة هذا الفصل هو تحديد أثرالإسلام و العلمانية في مفردات عملية نشأة الدولة العراقية عام1921م، .

بناءاً عليه قسمنا هذا الفصل الى المباحث التالية:

المبحث الأول: العلمانية، نشأتها وتطورها، أسباب ومسوغاتها .

المبحث الثاني: الإسلام، فكرة فلسفية عن الإسلام، الإسلام والإسلامية. العلمانية في العالم الإسلامي.

المبحث الثالث: نظرية الدولة بين الإسلام و العلمانية ، وتحديد (أثر الإسلام والعلمانية في نشأة الدولة...) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الأول: مفهوم العلمانية

المطلب الأول: العلمانية لغةً ومصطلحاً

الإختلاف في وجهات النظر والمصالح جعلت معظم المصطلحات والمفاهيم تحمل عدداً من تعريفات بما فيها العلمانية، ولكن هناك شبه إجماع حول مقصدها وهي: أن العلمانية دعوة الى إقامة الحياة على غير دين[4]، بواسطة (فصل الدين عن الدولة) أو (الفصل المطلق بين السياسة والدين)[5] الذي دعا اليه هوبز (1588-1679م) لأول مرة عن طريق ربط الدين بالقانون وفصله عن الحقيقة [6]، مستفيداً من نظريات ميكافيلي (1469-1547) حول تأسيس علوم السياسة الحديثة، من خلال تجريد السياسة من الأخلاق والدين[7]، وبالتوسع التدريجي لهذه العلوم باتت العلمانية تشمل معظم مرافق الحياة المعاصرة، وعندها تغيرت وظيفتها الى فصل الدين عن الحياة بأكملها، وأخذ تعريفها يتغيرويتسع ليشمل الفلسفة والسياسة والعلوم الإجتماعية والإقتصادية والقانونية، وأصبح لكل منها تعريفها* الخاص، ومنها:

1- العلمانية هي: مذهب قانوني- سياسي يتميز بإقصاء النفوذ الديني عن الدولة.[8]

2- العلمانية هي :منهج دنيوي، غير ديني، مدني غير اكليركي، غير قانوني، غير منتسب الى رهبانية، عدم مبالاة بالدين[9] .

3- وردت العلمانية في (المعجم القانوني) بإنها: الدنيوية غير دينية.[10]

4- والتعريف الفلسفي الذي جاء في (المعجم الشامل) هو: اللايكية أو العلمانية بمعنى العالمى، بخلاف الديني أو الكهنوتي.[11]

5- أما في (معجم علم الإجتماع) المعاصر، فقد جاء (عناصر)تعريفها ب: بالدنيوي، غير روحي، غير ديني، تراجع وإنحسار الإيمان، مدنية، غير مقدسة، عقلانية ونفعية.[12]

1- الندوة العالمية للشباب الإسلامي _الموسوعة الميسرة في الأديان والماهب المعاصرة، ط 1 - رياض 1988 ص 367.

2-أ- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشروالتوزيع، الرياض السعودية، الطبعة الثانية 1999- (مادة: العلمانية)، ج16ص415 ب- . د.عبدالوهاب كيالى، الموسوعة السياسية ج4، الطبعة الثالثة 1995

3 –ينظر: 1-توكاس هوبز-اللفياثان(الاصول الطبيعة والسياسة لسلطة الدولة)ت:دياناحرب، ط1،دار فارابى ص126. 2- الموسوعة الفلسفية المختصرة، تعريب: فؤاد كامل، جلال العشرى، عبدالرشيد الصادق دار القلم –بيروت، منشورات النهضة –بغداد ص505 – 506

4- نقولا مكافيلى –الأمير-تعريب:خيرى حماد، ط8 1977م، دار الأفاق الجديدة –بيروت ص17-

*بماان هذا الفصل بدأ بتعاريف ومفاهيم لذلك اسندنا الي المعاجم والموسوعات قبل المصادر .

[8] - الموسوعة العربية - طبعة الأولى 2005، دمشق، هيئة موسوعات . مجلد(13) ص403، مادة: العلمانية

[9] - منير بعلبكي، المورد، قاموس إنجليزي-عربي.: الطبعة (33) 2003، ص 827 مادة:Secular

[10] حارث سليمان الفاروقي - المعجم القانوني (انجليزى –عربي)، –لبنان، ألطبعة الرابعة/2001م، ص 630، مادة Secular

[11] -د عبدالمنعم الحفنى - المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، مكتبة مدبولى، ط3 2000م، ص 562 مادة: العلمانية.

[12]- ينظر: د.عبدالوهاب المسيرى وعزيز عظمى - علمانية تحت المجهر، الطبعة الأولى 2000، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر ديمشق- ص59-61

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

6- أمافي المعاجم الأجنبية فقدجاءتعريف العلمانية شبيه بالمعنى الذى جاء آنفاً، كما نجد في قاموس(Oxford)[13]و معجم (Longman)[14]و معجم(Dictionary of modern written Arabic)[15] جاء فيهابأنها: لادينية، لايكية، مقابل رجال أكليركي..

7- اما فى موسوعة البريطانية لعام 2011 بنصه الانكليزى جاء: secularism, any movement in society directed away from otherworldliness to life on earth

بعد قراءة هذه التعاريف والإمعان فيها يتبين لنا بأن العلمانية تأتي بمعنى اللادينية، ما يقابل (الروحية- أكليركية- الكهنوتية) أو ما يقابل (الدينية) بصورة عامة، أو فى أهون حالها المحايدة من الدين، وهذا هو المعنى العام الذي سجله الإسلاميون والعلمانيون[16] والمحايدون في الوسط العلمي كما جاء في قاموس أوكسفورد –العلمية-باللغة الأنجليزية:ماترجمته - العلمانية هي: الإعتقاد بوجوب إبعاد الدين عن المؤسسات الإجتماعية والتعليمية.. الخ[17].

تتركز العلمانية على أمور الدنيا دون المبالاة بالآخرة، ما يقابل بالإنجليزية بـ-سيكولار-secular وهي مشتقة من الكلمة (سايكولوم) اللاتينية التي تعني (العصر) أو (الجيل) أو (القرن) أو الدنيا [18] . وبالفرنسية تقابل لا ئكيلية Laique وتعني العالم(دنيوى) بخلاف الديني الكهنوتي[19]، وهي بدورها مشتقة من كلمة Laizism اللاتينية وتعني العامي أو إبن الشعب، أي المدني غير المتعلم مقابل كلمة clerc (أكليرك- رجل الدين المتعلم)[20]، وفي روما القديمة كانت تطلق على الذين لا يحملون أي رتبة دينية في كنيسة ب (لائيكية- علمانية)[21]، وفي عصر التنوير والإنقلاب على الكنيسة كانت تطلق على عملية تأميم ممتلكات الكنيسة من قبل الدولة بـ(علمنة-سيكولار)[22]، وبسبب نقص الكنيسة و كفاءتها العصرية (على وفق الميزان القانوني) كانت العلمانية أحياناً تطلق على عدم كفاءة الكنيسة في الشؤون العامة[23]؛ من هنا شاع معنى العلمانية مرادفاً للعقلانية والحداثة والعصرنة 0

وأن أول إستخدامها السياسي جاء في معاهدة ويستفاليا 1648م[24]؛ بيد ان جذورها قديمة –على ما أعتقد - من حيث المعنى والمناسبة وفي اللغات الأربع (الاتينية - الفرنسية – الإنجليزية- العربية) ؛ففي العربية ترجع الى ما قبل هذا التأريخ، إذ

---

[13]- Oxford- sixth edutram. ،2000 ،p1155.

[14] - Longman –secular- p (617)

4- Hans Wehr –secular- p (636)

[16] - شبلي عيسمي -العلمانية والدولة الدينية – وزارة الثقافة والأعلام-بغداد، ط1 1986م ص18.

[17] - نصه الأنجليزى هو: Oxford- ibid- p 1155: the belief that religion should not be involved in the organization of society, Education.. etc.

[18] - العلمانية تحت المجهر .. المصدرالسابق ص59،

[19] - شبلي عيسمى- العلمانية والدولة الدينية .. المصدرالسابق، ص18

[20] - موسوعة العربية ..المصدرالسابق، ج13 ص423

[21] - العلمانية تحت المجهر.. المصدرالسابق، ص12 0 كذلك أنظر: د.عبدالوهاب الكيالى -موسوعة السياسية –ط11987م طبعة بيروت ج4 ص 179

[22] -w.w.w-standardkurd.com- .....

[23] - موسوعة العربية .. المصدرالسابق ج 13 ص 403

[24] - العلمانية تحت المجهر .. المصدرالسابق ص 11-12

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كانت تستخدم للتعبير عن إسم المجلس الجسماني اليهودي، وهو مجلس تنفيذي دنيوي مقابل مجلس روحاني (آخروي)[25]، وفي الانجليزية aseculr ترجع الى اللاتينية (كما ذكرنا آنفاً) وفي الفرنسية لائكيه ترجع الى أصل إغريقي من Laikas [26] بمعنى العامي، وهي مصطلح قريب من مناسبة ظهور العلمانية، التي ترجع الى عهد(هارون –ع-*) حيث كانت القوانين والقيود الدينية تفرض على الكاهن آنذاك ولا تفرض على غيره من اللاويين[27] أو من عوام الشعب، وهؤلاء كان يطلق عليهم (لائكيون)، دنيويون، (علمانيون) (خلافاً للكهنة)؛ وعندما بدأ عصر التنوير في أوروبا كان من أولى مطالباته فصل الدين عن الدولة وأن يكون الناس جميعاً لايكين(أو علمانيين) ؛و يعمل للدنيافقط [28]، ..هكذا ظهر وشاع مصطلح العلمانية0

أول من ترجم اللائكية الفرنسية الى(العلمانية) العربية هو (لويس باستر-المصري) في قاموسه (الفرنسي- العربي) سنة 1828م[29]، والعلمانية مصطلح خاص باليهود ومسألةلاوية بالأصل لاعلاقة لها بالعلم، وكانت الترجمة هذه في كثير من الأحيان تشكل التباساً في الفهم مع المذهب العلمي، كأن-العلمانية - تدل على تتبع الخطوات العلمية مقابل جحد بها، ومازال هذا الإلتباس يصيب كثيراً من الناس على مختلف المستويات، يقول محمد مهدي شمس الدين: ((إن لفظ العلمانية قريب من العلم خدع الكثير من العمائم أيضاً، لذا أيدوا هذه الدعوة))[30]، والإسلاميون ليسوا وحيدين في الوقوع بهذا الإلتباس، بل نجد بعض الموسوعات والأخصائيين أيضاً وقعوافي الإلتباس نفسه، فعلى سبيل المثال نرى موسوعة (تعريفات ببعض المصطلحات) سجلت في مادة (العلمانية) ما يأتى:((العلمانية كلمة مشتقة من العلم والعالم وهو بخلاف رجل الدين))[31]، وفي(المعجم الشامل)أيضاًوردت بمعنى العلم، إذ جاء فيه: ((ربما يكون إشتقاق علمانية (بكسر العين) من العلم، فقد قام التنوير على العلم أي علم الدنيا وليس علم الدين))،[32] وهناك كتب أخرى سلكت المسلك نفسه، قصداً منها لإظهار الصراع بين العلماني والديني كأنه بين العلم واللاعلم،أوجهلاً منهابسبب قرب العلمانية من الناحية اللفظية من العلم، وفي كل الأحوال كان إختيار لفظ العلمانية، إختياراً موفقا، خدم مشروع العلمانية في العالم الإسلامي والعربي، ان كان تعريف (باستر) قصد هذا أم لا .

---

[25] - إستمر عمل بهذه المجالس في العراق حتى عهد الملكية، وكان يستمد صلاحيتها القانونية في النصف الثاني من القرن 19 من مرسوم (إرادة فرمان) صادرة من سلطان في عام 1848 وثم قانون طائفة اليهودية رقم:77 لعام 1930 في الملكية – ينظر:حنا بطاطو – العراق ج 1ص291

[26] - معجم الشامل – المصدرالسابق ص562

[27] - رجل من أبناء عشيرة لاوي المكرسين لمساعدة الكهنة (جدول وشروح – الكتاب المقدس- مادة: لاوى)

[28] - معجم الشامل ... المصدرالسابق ص 561-562

[29] - ينظر:أ- د. محمدعمارة – معركة المصطلحات –، مادة: العلمانية ب- باحث –هه لبزاردن له نيوان عه لماني وئيسلامي\2005ز –هه ولير ص 13-14

[30] - العلمانية ... المصدرالسابق ص87

[31] تعريفات ببعض الصطلحات – مكتب الثقافة والأعلام لحزب البعث العربى الأشتراكى، دادة: العلمانية ص8

* هو شقيق موسى –ع-

[32] - أ- معجم الشامل .. المصدرالسابق ص563 ب- قاموس التربية- مادة: secular ح-(تيارات الفكر الغربي المعاصر – ص35)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثانى: نشأة وتطور العلمانية

هناك روايات مختلفة حول نشأة العلمانية من حيث التأريخ والزمان والمكان، وتباينت الآراء أيضاً حول مستخدميهافي بداية الأمر. وذكرت أسماءكل من (ميكافيلي وسبنوزا وهوبز وآخرون) فضلاً عن مبادئ الثورة الفرنسية، لكن معظم الأبحاث والدراسات العلمية تميل الى إرجاع مفهوم العلمانية الى معاهدة ويستيفاليا[33] التي بدأت أعمالها في 14/ديسمبر/ 1644م وانتهت في 24/اكتوبر/1648م وإستخدم فيها لأول مرة مصطلح (سيكولار- العلمانية)[34]، جاءت هذه المعاهدة بعد الحروب الدينية والعرقية والمذهبية في أوروبا (التي سميت بحرب 30 عاماً) وشارك في المعاهدة المذكورة 135 عضواً، ومن بعض مبادئها :

1- الإعتراف بالسيادة والإستقلال للدول الأعضاء.
2- التسوية وإعطاء الحرية الدينية للكاثوليك والبروتستانت والكالفنين*.
3- توزيع الأراضي المتنازع عليها فيما بينهم.
4- رغم رفض إسبانيا التوقيع على هذه المعاهدة لكن أعترفت بإستقلال هولندا، ونتجت عن هذه المعاهدة إعادة تشكيلة أوروبا من جديد، وظهرت دول القوميات والدويلات (لاسيما في المانيا) والكنائس الخاصة، وانتهت سيطرة اللاهوت على العقل[35]

لا شك أن لهؤلاء العلماء (الذين جاء ذكر أسمائهم: مكيافيلي، هوبز، سبينوزا..) ومعاهدة ويستفالية، لعبوا أدواراً هامة في نشأة وترسيخ مفهوم العلمانية، ولكن ملامحها قديمة وإن لم تكن بهذا الإسم(كما ذكرناه في جوانبها اللغوية)، والتي أخذت طرفاً من الصراع التأريخي بين كل من: الخير والشر، بين الجديد والقديم، الديني والإلحادي...، هكذا نجد مبادىء العلمانية بمحاذاة الدين في أعماق التأريخ، ومن الممكن كشف عناصر العلمانية في المدارس اليونانية المختلفة حتى من الإتجاه المعتدل ، الذى قام بتوفيق ب فلسفة الإلهية* وفلسفة الإلحادية[36] حيث أقروا بأن الله صانع ولكن ترك الدنيا للبشر [37] وظهرت من هذا الإتجاه فكرة الربوبية (ديزم-Diesm)- وهي مصطلح إغريقي حسب(موسوعة لالاند) اول من استخدمه هو (فيرية)عام 1564فى جلدالثانى لكتابه(instraction chritiemt)[38]، وهى(اى الربوبية) تحول الى آيدولوجية دينية تقر بوجود الله كصانع ولكن ترك الدنيا للبشرحسب زعمهم، كذلك جاء (مارتن لوثر) برأي مشابه، حيث قال: ((إن الله هو مهندس الكون الذي صنعه وتركه مسرحاً للناس))[39]، تلك النظرية اقتحمت عقول رجال الدين أيضاً حيث قال(القس وليام ثامبل)-في كنيسة كتنبرى ببريطانيا((ان الله

---

[33] -ينظر: أ-العلمانية تحت المجهر 00 المصدرالسابق ص11-12 ب-الموسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق ج16ص415 / ويستيفاليا مدينة تقع غرب ألمانيا.

[34] - العلمانية..- المصدر نفسه –و الصفحةنفسها .

[35] ويل ديورانت - قصة الحضارة –، اعداد: سهيل محمد ديب، مؤسسة رسالة: الطبعة الأولى بيروت ج3 ص530 0

* نشأمن تعاليم (جون كالفن 1509-15649)من خلال كتابه بعنوان (أنظمة الدين المسيحى) ولم يعترف بسلطة البابا، وحاول التحقيق حكومة تعتمد على شريعة اللة دون غيرها ألا وهى الكتاب المقدس –المصدر: الموسوعة السياسية، ط1-ص433

* جاء فى كتاب- الملل والنحل لأبى فتح الشهرستانى -:إن فلسفة اليونانية مصدرها الوحى، فقد أخذ فيلسوف (أنبادقليس)من (داود-ع-)العلم، وفيثاجورس من السليمان –ع-...الخ ينظر:الصفحات:67 و72 من كتاب المذكور .

[36] وهم الفلاسفة التالية:طاليس،انكسيمانس،هرقليط،ديمقريطس،ابيقور،اكسينوفان ..للمزيد ينظر موسوعة الفلسفية ص467

[37] - شبه ذلك الصورة بالملكة البريطانيا التي تملك ولا تحكم.. كذلك الله خالق ولكن ليست حاكم.

[38] موسوعة لالاند الفلسفية ص257 .

[39] شبلي عيسمى - علمانية ودولة الدينية.. المصدرالسابق - ص22

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لايشرع الدين بوحده، بل يشاركه الانسان))[40]، وهذه الأراء قريبة مما ذهبت اليه العلمانية المعاصرة، وفيها فصل واضح بين الدين والدنيا، لذا تعتبرالعلمانية المعاصرة إمتداد لفكر اليوناني القديم، ويذهب محمد مهدي شمس الدين إلى أبعد من ذلك عندما قال: ((ان جذور العلمانية ترجع الى المجتمعات اليونانية والإمبراطورية الرومانية قبل المسيحية))، ويضيف ان ((العلمانية الحديثة ليست إلا صورة علمانية المجتمع الروماني الوثني[41]))0

وتأتي مرحلة أخرى-من نظيرالعلمانية- بعد عهد الفلسفة اليونانية بإسم (الدهرية) كما تحدث عنها القرآن الكريم كفكر معادي للدين، والتي تعني المادية الطبيعية[42] (..وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون))[43] وجاء في ظلال القرآن:((الدهريون هم مذهب ظني(شكي) من الناس الذين لاتهمهم الآخرة بل دنيويون فقط))[44]، والشكية (الظنية) قديمة قدم البشرية مقابل اليقين الذي أتى به الرسل، وأسست أول مدرسة شكية البيرؤنية (365 – 275 ق . م)فى اليونان[45]. وظهر مذهب الشك مرة ثانية في القرن 16 ليكون دعماً للعلمانية .

ان هذا الربط (بين العلمانية والدهرية) لم يأت من الإسلاميين حسب، فقد كتب(شبلي عيسمى) حول الدهرية ما يلي: (...أن حركةالزندقة والدهرية تلتقى في هذه النقطة مع أصحاب العلمانية المتطرفة وجميعهم فى المادية الإلحادية)[46]، بناء على ذلك رد جمال الدين الأفغاني في كتابه (رد على الدهريين) على كل من فؤلتير وروسو ومبادئ الثورة الفرنسية[47].

ويتحدث (شوبنهاور) عن الدهرية ويربطها بالماضي ويحكم بأن الله ليس متحققاً بل سيتحقق[48]، أي أن الجميع يشتركون في الفهم المشوه للخالق تارةً بغيابه وتارةً بتركه لهذه الدنيا وتارةً بإنكاره النهائي، مثلهم كمثل مشركي العرب الذين وقفوا ضد دعوة الرسول ﷺ بالأحاجيج نفسها، لذلك جاء في (مفردات ألفاظ القرآن) ان مشركي العرب هم دهريون[49] .

هذه الأفكار (الدهرية والربوبية والوضعية) تركت آثاراً واسعة على الفكر الإنساني وكذلك على الفكر الديني[50]، بحيث يحصر دورالدين بين الفرد والرب، وذلك يشكل عنصراً أساساً للعلمانية، لذلك نجد معظم الأفكار الفلسفية والسياسية

---

[40] -هه لبزاردن له نيوان عه لمانى وئيسلامى.. المصدرالسابق ص13

[41] - العلمانية... المصدرالسابق ص83

[42] - جاء معنى الدهرية في كل من المعاجم والقواميس التالية كالآتي:أ-لسان العرب (ابن منظور مادة: دهر): الدهر اسم المدة العالم(عمر الدنيا)، رجل الدهري أي الذي لا يؤمن بالآخرة./ ب- راغب الأصفهاني في (مفردات الفاظ القرآن- مادة: دهر) رجل الدهري أي الذي لا يؤمن بالآخرة ./ ج- منجد ص227، الدهري هو الملحد.

[43] سورة الجاثية، آية (24)

[44] - سيد قطب - في ظلال القرآن، الطبعة (10) دار الشرق ج5 ص3232، كذ لك جاء فى تفاسير (روح البيان ج8 ص449 و(مختصر تفسير الطبرى -) واخرين متفقين على معنى المذكور0

[45] د.عدنان على رضا النحوى- المسلمون بين العلمانية وحقوق الأنييسان الوضعية، ط 1 1997م، دارالنحوى للنشر-رياض ص 31- 32

[46]- العلمانية والدولة الدينية .. المصدرالسابق ص 36

[47] - د.محمد عمارة - أعمال الكاملة.لجمال الدين الأفغانى، ط 1 1979م ؛المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت ج1 ص 108

[48]- عبدالرحمن البدوي- شلنج، الميثالية الألمانية- دار النهضة العربية –القاهرة\1965م-ص366{كذلك يتحدث نتشة عن (لعجله الوجود) في كتابه (هكذا تكلم الزرادشت) ما معناها الدهرية والعلمانية، حيث يقول بعد كل تغيرات تبقى عجلة الوجود تدوم الى الأبد .. هكذا معظم العلمانيين ينطلقون من مفهوم الدهرية (لا نهائية العالم-قدم العالم) زماناً ومكاناً.}

[49] - راغب الأصفهاني .. المصدرالسابق ص 320

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

والإجتماعية السائدة في أوروبا التي مهدت لنشر العلمانية ولاسيما في عصرى النهضة (الإصلاح) والتنوير ترجع جذورها الى المدارس اليونانية والرومانية القديمة[51]،اول من نادى بفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية هو العالم الرومانى (سينكا 4 ق م-65م)[52] وبالتالي جذور العلمانية قديمة،وجاء مقابل الدعوات الأنبياء، وليست كما تزعم وليدة عصر العقلانية والحداثة والتنوير والعلم ،بل هي شكل معاصر في الصراع الأزلي بين الديني واللاديني[53]، وذلك أوجد خطين متوازيين فى التأريخ البشري الى يومنا هذا، يمثل إحدهما العلماني والآخر الديني، وأدت هذه العملية التأريخية الى تراكم نوع من الفصل الظاهري بين العقل والنقل أو بين العقل غير الصحيح والنقل غير الصريح على وفق تعبير ابن تيمية*، وأينما وجد الدين في حالة التذبذب بين الصراع والمصالحة مع العقل فهي بداية حدود العلمانية وزعزعة الإستقلال وقدسية الدين، لأن المصالحة بين الدين والعقل تجري عادةً في ظل سلطة زمنية، وبالتالي تجرى المصالحة على وفق مستوى العقل الآني[54]، وذلك يؤدي الى إنحراف الدين ونقصانه، الى حد أدى ببعض الأديان الى انبثاق تعدد الآلهة فيها، ومنها: إله الشر واله الخير، اله الشمس واله المطر، اله البر واله البحر وثم اله لكل عشيرة.. فضلاًعن إله السماء وإله الأرض[55]، هذه الفصول لا سيما بين السماء والأرض* أدت الى الفصل بين المفاهيم الموحدة التالية: الدنيا والآخرة، شرائع الأرض وشرائع السماء، اللاهوت والناسوت في المسيحية[56]، العقل والنقل، رجال الدين ورجال غير الدين، المسيح والمسيحية، وبالتالي الفصل بين الدين والدنيا الذي نشأت وترعرعت عنه العلمانية ، ونلاحظ من ادبيات (اخوان الصفاء)مكاناً للعلمانية بواسطة هذه الثنائية ،حيث جاء فى رسالة رقم 30 تحت عنوان (مثنوية الانسان)ان الانسان مكون من طرفان مضادان، الاول مادى ودنيوى والثانى روحى واخروى [57]، واصبح هذه مادةً للتنظيرات مختلفة حول تقسيمات ثنائية بين بابا والامبراطور، وتبلور فى القاعدة الحكم التالى: طالما الانسان مكون من جانبى المادى

---

[50] - انظر: د.عدنان علي النحوي - المسلمون بين العمانية وحقوق الإنسان الوضعية /.ط11997م، دار النحوى للنشر –رياض . ص27 كذلك أنظر: ما حدث بعد ان جلب أسكندر وعلماء معه لنشر فكر اليوناني موجود فى(مطلب: العلمانية فى العالم الأسلامى) من هذا البحث.

[51] - د.عدنان....- المسلمون ... المصدر نفسه ص 27 – 32 – كذلك(محمد مهدي شمس الدين- العلمانية ... المصدرالسابق ص 83)

[52] موسوعة علم الإجتماع ص339

[53] - حسب معجم الشامل ... فإن أول ظهور علمانية أتى في عهد هارون، وفي (جدول شروح) (كتاب المقدس- العهد الجديد) جاء في شرح (هارون): شقيق موسى الأكبر، وهوكان أول كاهن في شعب الإسرائيل وأبو الكهنة كلهم.. هكذا جاء جذور العلمانية مع جذور الكهنة.. أي انهما في صراع أزلي.

[54] - الحديث هذا بين العقل النسبي والدين الذي يحمل حقائق المطلقة، لذلك اية مصالحة بينهما تؤدي الى توفيق بين الحقيقة النسبية والحقيقية المطلقة في نهاية الأمر تخسر كمية من الحقيقة من مجموع الكل.

*\النص هو:ان الحجة العقلية الصريحة لاتناقض الحجة الشرعية الصحيحة –ابن التيمية –مجموع الفتاوى، ط2\1998م، دارالوفاء-مملكة العربية السعودية ج5 ص149

[55] - بذلك تعني أن المجتمع لم يمر بمراحل التطور من تعدديه اللآله الى التوحيد كما يزعم (أصحاب نظرية التطور) والتي تؤكد ان الفكر البشري أوجد توحيد، ولكن الصحيح هو ان الفكر البشري سبب ايجاد تعدد الآله من التوحيد كماأكدت ذلك (وليام شمت) وقال (أن أصل الدين موحد ثم تعدد –علم الأجتماع ص418

* جاء فى عقيدة المجوس: ...بعد النزاع والصلح بين اليزدان (الإله)والأهريمن إتفقا على أن يكون العالم السفلى خالصاً لأهريمن لمدة 7000ألاف السنة -الملل والنحل .. المصدرالسابق–ص197 .هذه النوع من الأفكار أسست عليها العلمانية.

[56] - اللاهوت: عالم الغيب، آخرة، والناسوت عالم الشهادة أيى الدنيا(أنظر معجم الشامل ... ص 867: مادة: ناسوت .

[57] رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء- رسالة رقم:30ص112-113

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(دنيوى)والروحي(اخروى) لابدلتقسيم السلطة دنيوية واخروية ،الاول للامبراطوريات والثاانى للبابوات ،السلطةللملك والرئيس والدين للقس والكاهن، والامر مشابه فى عالم الاسلامى حيث ورث اهل القلم الدين واهل السيف السلطة ،يظهرأن الدين جاء للآخرة وليس للدنيا، ويجعل الإنسان أسيراً للأنتظار وتسليمه للأمر الواقع دون مقاومة وبذل جهود . والأسفار التالية في الإنجيل رسخت هذه النظرية، حيث جاءت بمناسبة دفع الجزية للقيصر فيه (ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)[58] كذلك (مملكتي ليست في هذه الدنيا)[59] .فضلاًعن نصائح الأقطاب الدينية لأفراد الشعب بتحمل عبء السلطة الظالمة في سبيل حصولهم على الجنة كما جاء في الإنجيل: ((سمعتم انه قيل: عين بعين وسن بسن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسيئ إليكم . من لطمك عن خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك، فاترك له رداءك أيضاً))[60]، (فلا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره..)[61]. ومن فقه الاسلامى ايضاً جاء : (اذا كان الحاكم عادلافله الأجر وعليك الشكر واذاكان ظالما فعليه الوزر وعليك الصبر)[62]، (ونقل عبد الكريم الخطيب قول الحسن البصري]:ألا لا تسبوا الولاة فإنهم ان أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر، و ان أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر، وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمة) ، لذلك أطلق ماركس على هذا النوع من الدين بأنه (أفيون الشعوب) [63] .

وهذه الحالة الدينية منحرفة عن أصلها تدفعه الى الخرافيات والأوهام، وفي نهاية الأمر يستخدم الدين من قبل رجل الدين والحاكم والعلماني سوية، ويصير وسيلة بيد الطبقات المستغلة ضد عامة الشعب، هكذا وقعت المسيحية في أوروبا في كثير من الإنحرافات في المجالات العقيدية والفكرية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية، وباتت أكبر عرقلة للتقدم الحضاري، و نتيجة منطقية أن تصطدم بطلائع التقدم البشري وتكون أوروبا أول مسرح للإشتباك بينهما، وتصادمت فيها السلطات الدينية (الكنيسة) مع العلماء والفلاسفة والباحثين والسياسة المدنية، وحرمت كتبهم بما فيها الكتب الإسلامية العلمية، وقاموا بإنشاء محاكم لهم وأحرق بعضهم، وإتهمهم بالهرطقة والإلحاد[64] .

وتعتبر الكتب الآتية: (النسق المسيحية) لشوبنهاور، و(نظام الطبيعة) لهولباخ، و(جوهر المسيحية) لفيورباغ، و(الوجود والعدم) لسارتر، و(مستقبل الوهم)لفرويد.. كتباً ملحدة وضد الله والدين المسيحي [65]، وقد أصبح العلم فيما بعد من جهة والدين في مقابله، وكان أي إنجاز للعلم يقابله هزيمة للدين المسيحي، وأول مسرح للصراع كان مع الفلسفة، ويرجع جذور هذا

---

[58] - إنجيل متى22 الطبعة الرابعة 1992، اتحاد جمعيات كتاب المقدس (21 – 22)/22 مجموعة آياه تبدأ من (15-22) بصدد دفع الجزية الى قيصر، وجاء الجواب بالنص: أيحل لنا أن ندفع الجزية الى قيصر أم لا ؟ ... قالوا: للقيصر ! فقال لهم: ادفعوا إذن، الى القيصر ما للقيصر والى الله ما لله. أما في (كتاب المقدس – الإنجيل وأعمال الرسل) دار المشرق – بيروت، الطبعة الأولى 1984 جاء الآية بنوع آخر في إنجيل متى 22 (15- 22) فيه إختلافات بين النسختين: وجاء النص هنا: فقال لهم: أدوا إذا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله

[59] -جان جاك روسو-فى العقد الأجتماعى –ترجمة:زوقان قرقوط، دار القلم –بيروت ص208 (ونقله لكتاب المذكوربصيغة: وطن المسيحى ليس في هذا الدنيا) .

[60] - الكتاب المقدس العهد الجديد -متى ، اصحاح 5 (39 – 41) - .. المصدرالسابق.

[61]كتاب المقدس-العهد الجديد مت (34:6)

[62]د محمد شحرور-الكتاب والقران ص101ص620

[63].نص مقولة ماركس جاء فى كتابه(نحو نقد لفلسفة الحق الهيجلية- 1844م): إن الهم الديني هو في الوقت نفسه تعبير عن هم واقعي واحتجاج علي هم واقعي . إن الدين هو آهة الخليقة المضطهدة ، هو قلب عالم لا قلب له ، مثلما هو روح وضع بلا روح . إنه أفيون الشعب .

[64] -أ- المصدر نفسه –ص36 ب- موسوعة الميسرة .. .. المصدرالسابق ص 367

[65] - المعجم الشامل.. .. المصدرالسابق ص 89

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الصراع (العقلي) الى زمن المدارس اليونانية (كما ذكرنا من قبل) وعادوا اليه في عصر النهضة (من قرن 16-17.5) وجهاً لوجه مع المفاهيم الدينية مرة أخرى، ثم امتد الصراع الى الميدان العلمي عند ظهوراكتشافات هامة في العلوم الكونية من قبل كوبرنيكوس(1473م-1543)وكبلر(1571-1630م) وغيرهما التي أحدثت ثورةً في عقول البشرية، وعلى يد نقولا ميكافيلى (1469-1547) امتدت الى ميدان السياسة عندما قام بأنقلاب على المفهوم الديني والأخلاقي للسياسة، حيث أسس في كتابه(الأمير)و (أطروحات) ما سمى بمذهب السياسة الحديثة، لذلك يصنف المذكوركمؤسس للعلمانية في بعض المراجع (كما ذكرنا سابقاً)، أو على الأقل مؤسساً للعلمانية السياسية[66]، وطور هوبز (1855-1679) الفكرة بإتجاه فصل السياسة عن الدين نهائياً[67].

ثم ساهم ثلاثة من المفكرين في ترسيخ العلمانية وتدويلها وهم: 1-القانوني (جين بودين) الفرنسي، 2-السياسي (جوهاش التيسوس) الألماني، 3- المحامي الهولندي (جروتيوس) وهو الذى وضع الأساس لعلم القانون الدولي [68]، وبعد مداولات مركزة، صاغ جون هيليوك(1817-1906) مصطلح العلمانية بمعناه الحديث لأول مرة، وقد حاول هوليوك أن يأتي بتعريف تصوره محايداً كالآتي: ((الإيمان بأمكانية اصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان، سواء بالقبول او الرفض))[69].

و مع ترسيخ أركان العلمانية في النواحي السياسية والفكرية والقانونية، قامت الكنيسة بتقديم سلسلة من التنازلات، ففي سنة 1885م اعترفت الكنيسة رسمياً بالفصل بين السلطتين المدنية والدينية [70]، واعترف البروتستانت لأول مرة بأن (النعمة الإلهية تصل الى الإنسان من دون وساطة الكنيسة)، ثم أقر المذهب الكاثوليكي – الذي أحدثه البابا لاوون الثالث عشر في نهاية القرن 19- بهذا التفريق والفصل، ومن ثم اعلان البابيوس الحادي عشر قبوله بفصل الدين عن الدولة الذي إعتمدته فرنسا[71]، وبالتالي تحول الدين تدريجيا الى علاقة مجردة بين الله والفرد والى مسألة شخصية بحتة.

أما من جهة الواقع بدأت الدول تنشأ على أساس قومي، خارج الإطار الديني منذ أول مملكة قومية ذات حدود سياسية وهي انكلترا في فترة 1485 – 1589 على يد هنري السابع، ومن ثم فرنسافي فترة (1461-1483)، واسبانياعام 1469م، ثم هولندا[72] وقد رسخت معاهدة ويستيفاليا عام 1648 وجود هذه الدول، إذ يعتبر ذلك بداية عصر العلمانية كما ربط محمد مهدي شمس الدين تأريخ العلمانية في العصر الحديث بنهاية عصر الأقطاع في أوروبا ونشوء الدول القومية[73]، وظهر أول وجود سياسي للعلمانية بعد ثورة فرنسا 1789م بشعارها (الحرية، الأخاء، المساواة)[74]، وكانت تحكم بإسم الشعب وليس بإسم الله، وأصبح معظم أعضاء البرلمان الفرنسي فيما بعد من العلمانيين. وهم بدورهم شرعوا قوانين العلمانية، وأبعدوا سلطة الكنيسة عن

---

[66] - اطالي المولد، بالأضافة الى كتبه (أمير وطروحات) هناك كتبه أخرى مثل (فن الحروب، تأريخ فلورنسا) اشتهر بقاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، فيها يقدم نصح الى الأمراء والقادة، كي يسيطر على مقدرات الشعوب، الوضع السياسي السائد الآن في العالم يرجع من حيث المبادئ الى الميكافيلية. في الحقيقة هو مؤسس مذهب السياسة العلمانية، وليس علم السياسة الحديثة.

[67] -أ- الموسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق ج 16 – ص 402 ب- موسوعة الفلسفية المختصرة .. المصدرالسابق ص503-

[68] - الموسوعة العربية العالمية، . المصدر.نفسه ج 16، ص402.

[69] - أ- العلمانية تحت المجهر .. المصدرالسابق ص 12، ب-موسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق(المصطلح: العلمانية).

[70] - شبلبي العيسمى - العلمانية والدولة الدينية .. المصدرالسابق ص 23

[71] شبلى عيسمى .. المصدرالسابق ص24-26

[72] -أ- موسوعة الأديان العالم، المشرف العام: جميل مدبك ط1 2000م-كتاب: الدينات القديمة -ص141 ب- ول ديورانت، قصةالحضارة .. المصدرالسابق ج3 ص530-

[73] - العلمانية .. المصدرالسابق -ص 83

[74] -أ-د. عدنان، المسلمون .. المصدرالسابق ص44 ب- موسوعة الميسرة .. المصدرالسابق ص368

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الحكم، وبنهاية قرن 19قطعت فرنسا علاقتها بالكنيسة ثم مع دولة الفاتيكان عام1904م[75]، تلتها اسبانيا بدأت هي بتطبيق العلمانية بين عامي 1868-1876م، ومن ثم المكسيك عند اواسط القرن19[76]، وتوالت بعدها أوروبا بتشكيل الدول الحديثة على هذا الأساس، هكذا بحلول القرن 19 انتشرت العلمانية في انحاء اوروبا0

من الناحية القانونية بدأت الدول الأوروبية تسجل في دساتيرها بنودا تخص ذكر العلمانية، ففي سنة 1958 عرض دستور فرنسا على الشعب وفي مادة(2) جاء نص فيه ((إن فرنسا جمهورية علمانية وديموقراطية غير قابلة للتجزئة ..)[77]، أما في ايطاليا -وكان مركز ثقل البابا فيها -جرت إتفاقية في 11/فبراير/1929 بين موسوليني* والبابا ليكون (المشهور بالاتفاقية لاتران)دين الدولة الرسمي كاثوليكياً،وانشأة فيما بعد سلطة فاتيكان[78] ، وبحلول عام 1947 بدأت علمانية الدولة وإلغاء مسألة الدين الرسمي للدولة وقال موسوليني حينه: إتفقنا مع البابا على: ((انني آخذ الأنسان من مولده ولا أتركه للكنيسة إلا لحظة وفاته وهي لحظة على البابا ان يهتم بها))، وهكذا فعل هتلر ومن ثم الشيوعية[79]، كذلك الأمر بالنسبة لأسبانيا[80]، ثم حذت باقي دول أوروبا حذوهم وقاموا بتسجيل العلمانية في الدستور مباشرة أو من خلال المواد الدستورية دون ذكر العلمانية .

و بعد إخضاع الدين لحكم القانون عادوا الى تسجيل مواد خاصة في الدستور يبدون فيها الإحترام للدين المسيحي من خلال القانون لا من خلال الحق الإلهي (حسب وصف – هو بز)، ومن هذه الدول:

اليونان: فى المادة(1)و(47)، دانمارك: مادتى (1، 2)، نرويج: مادة(12)، سويد: مادة(4)، كولومبيا: مادة(54)، كورسيكا: مادة(66)، سلفادور: مادة(12)، اسبانيا: مادة(6)، برتغال: مادة(24)، باركواى: مادة(3)، أرجنتين: مادة(2)، وهناك بعض الدول تشترط دستوريا على الملك أوالرئيس الأعلى أن يعتنق الدين المسيحى، مثال ذلك مادة(4) فى الدستور السويدى، ومادة(9) فى اسبانيا، وفى جميع هذه المواد جاء فيها اعتراف بأن دين الدولة الرسمى هوالمسيحية[81].

---

[75] -أ- الموسوعة العربية .. المصدرالسابقج13 ص 424 ب-الموسوعة الأديان العالم - .. المصدرالسابق ص187

[76] - الموسوعة العربية نفس المصدر والصفحة

[77] - ينظر:نص الدستور الفرنسى الصادر فى 4/ئوكتوبةر/1958 .

* زعيم حركة الفاشية فى ايطاليا ورئيس الدولة .

[78] القاموس السياسي –احمدعطية اللة ط3 ص1035 .

[79] - موسوعة الأديان في العالم- ج خاص (ديانات قديمة) .. المصدرالسابق ص 690

[80] - المصدر نفسه... ص 26

[81] أ.د. وهبة الزحيلي- فقه الإسلامي وأدلته- ط4 / 2004م ، دار الفكر المعاصر- ج8 ص6356-6358

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثالث: عوامل القوة العلمانية ومقوماتها:

هناك مجموعة من العوامل والمبررات ساعدت على نشر النظام العلماني نوجز أهمها فيما يلي:

1- سوء إستخدام الدين: ، اعتبرت الكنيسة نفسها وسيطاً بين الله والعباد [82] وزعمت أن قرار الدنيا والآخرة بيدها، تعطي الجنة لمن تشاء، ومن ثم تباع رحمة الله والجنة في (صك-الغفران)[83]، وادعت بأن سلطتها(ثيوكراتى) هي دولة الله في الأرض ، بإعتبارها مقدسة ومعصومة من الأخطاء، وغير قابلة للنقد والتقييم . هذا ولم تكن في دين المسيحية شرائع أو قوانين تتماشى مع متطلبات العصر، وكثير من الاحيان تماثلها حكم الخلافة الاسلامية بإدعاءات المذكورة، ، ابعدهم عن السلطة هو ابن تيمية بينما يقول:(أن السلطان ظل الله في الأرض)[84] ،وبذلك أصبحت أكبر عائق أمام تقدم المجتمع وتطوراته، لذلك كان المجتمع بحاجة الى نظام بديل كالعلمانية لتحل محل سلطة الكنيسة .نتيجة لذلك انتشرت العلمانية بشكل سريع .

2- التقدم العلمي: في تلك الفترة التي أشرنا اليها آنفاً، ظهرت إكتشافات علمية هائلة لاسيما في المجال الكوني، كانت عقيدة المسيحية تجاه الكون تستمد من الأفكار التي جاءت في كتاب (مجستي)[85] لـ(بطليموس)[86] الذي ينظر الى الكون كأنه أبدي وأزلي زمنياً، ولا محدود مكانياً، والأرض مركزه التي تدور حولها كل مكونات الكون، بالأضافة الى بعض الأفكار الخرافية الأخرى، فمثلاً (هركليتس) يعتقد: أن الشمس جسم تشتعل صباحاًو تنطفئ مساءً[87]، وكذلك فرقوا بين ماهو أرضي وما هو سمائي، وأول من أدخل هذه العقائد الكونية (البطلميوسية) الى عقيدة المسيحية هو (توماس أكويني 1225-1274م)[88]. ثم جاءكل من كوبرنيك، كاليلو، كبلر، جوردانو...، بأفكار كونية جديدة مخالفة للعقائد المسيحية، حيث أثبتوا أن الأرض ليست مركز الكون، بل نجم تابع بسيط لا تحمل أية قدسية أو خاصية مميزة عن السماء. أو العكس، وكلاهما مكون من العناصر نفسها تقريباً0

هكذا أحرز العلم مكاسب هامة في الفيزياء والكيمياء والبايولوجيا والعلوم الإنسانية والإجتماعية و(أنثروثولوجيا) ونظريات علمية أخرى لا سيما (نظرية التطور)، كان في كل خطوة علمية تعارضها الكنيسة وينتهي الصراع بإنتصار العلم وهزيمة الكنيسة ، مما دفع بـ(هوايهيد) ليقول: ((ما من مسألة إختلف الدين والعلم فيها فليقل العلم ويخرس الدين))[89] ،ويعلق (انجلس) على المشهد بأن الدين الله شبيه بخسارة جنرالات (فريدريك وليام الثالث)عندمايسقط قلعة تلو

---

[82] - رئيس الكهنة هو الوسيط بين الله والناس . (انظر جدول وشروح فى – كتاب المقدس – .. المصدرالسابق ص716)

[83] - أنظر نص الصك فى الكتاب: سيدقطب -المستقبل لهذا الدين –دار الشروق\بيروت ص44-45

[84] مجموع الفتاوى ج28 ص290-291 .

[85] - مجستي يعني الترتيب.

[86] ينظر أ-الموسوعة العربية العالمية... المصدرالسابق ج16ص415 ب-د.على الأمير –الكون العميق –ط1 1991، دار الشروق الثقافة العامة، بغدادص285

[87] جمهورية افلاتون -تعريب:حنا الخباز، دار القلم –بيروت، ط2\1980 ص190

[88] ينظر:أ-الموسوعة العربية العالمية.. المصدر السابق ج11 ص415 ب-الموسوعةالفلسفية.. المصدرالسابق ص71

[89] - موسوعة الميسرة ... مادة:علمانية .. المصدرالسابق ص371

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

القلعة بيد الأعداء [90]، وادى الى الإعتبار ان عقل الدينى عقل ناقص كما قال كل من (ارمنست همنغواى)و (ستاندال) و(كارل ماركس) و(فيورباخ) وكثيرا اخرى[91].

. هكذا أصبحت الكنيسة فى اوروبا (وبعض جوانب فقه الاسلامى) ضد الإنجازات العقلية والعلمية والعصرية، تحقيقاً لقول كل من(أبى العلاء المعري) و(دانتي) عندما قالا: ان أهل الأرض أحد رجلين، فإما أن يكون الرجل ذا عقل فلا يكون له دين، وإما يكون ذا دين فلا يكون له العقل[92]، وأصبحت العلمانية الجهة العقلية والعلمية (رجل ذا عقل) مقابل الأفكار الخرافية الدينية (رجل فلا يكون له عقل)، وكلما ينجز العقل البشري تقدماً ويكشف قانوناً ويخترع آلة تتوسع به العلمانية وينكمش الدين بالمقابل.[93] وللمزيد ينظر جدول رقم -1-

3- تحولت الإقطاعية الى الرأسمالية: المرحلة الإقطاعية كانت الى حد معين تنسجم مع عقائد ومسيرة الكنيسة، لكن الثورة الصناعية التي بدأت أول مرة في بريطانيا ومن ثم إنتشرت في باقي أوروبا، أفرزت نتائج إقتصادية وإجتماعية وحضارية مهمة، أدى ذلك الى بروز نظام علماني موافق للسوق الحر والبنوك والنظام الصناعي .. وبقية مسائل الحداثة .

الأسباب التأريخية: التي ذكرناها في سياق نشأة وتطور العلمانية لا سيما الفراغ الديني في المسيحيةواحيانا فى فقه الاسلامى ايضاً، التي تركت الدنيا لآخرتها-حسب ما زعم بقول المسيح: ((مملكتي ليست في هذه الدنيا))[94]، وفى مكان اخرى يقول: (فلا تهتموا للغد.لأن الغد يهتم بما لنفسه.يكفي اليوم شره ..) [95] ،ويؤيد امام الشافعى عبر شعره الرائع :

سهرت أعين ونامت عيون ....في أمور تكون أو لا تكون
فادرأ الهم ما استطعت عن النفس ... فحملانك الهموم جنون
إن ربا كفاك بالأمس ما كان .....سيكفيك في غد ما يكون

ويستمر التأيد ويقول (قديس اوكستين) فى كتابه(ملكوت الله) لاتقاوموا حظكم فى العبودية هو ارادةالله)[96] ، وهناك قول لابن عبد ربة مشابه لكن بإتجاه الحكام ويقول لاتقاوموا الحكام : اذاكان الحاكم عادلافله الأجر وعليك الشكر واذاكان ظالما فعليه الوزر وعليك الصبر)[97]، ... هكذا ستصبح العلمانية حاجة تأريخية[98] .

4- تحولت الإمبراطوريات الى دول وطنية (قومية) حديثة: وأدى ذلك الى حدوث تغيرات هامة، مزقت فيها سلطة الكنيسة، ورافقتها تحولات فكرية وسياسية وإجتماعية وإقتصادية وحضارية وقانونية، جميعها كانت لصالح العلمانية، كالآتي:

---

[90] فريدريك انجلس-ديالكتيك الطبيعة ص230

[91] للمزيد ينظر: كارل ماركس-بؤس الفلسفة ص256. روجيه غارودى-ماركسية قرن عشرين ص145 ، المثالية والمادية وازمة العصر ص95 كذلك ينظر:كتاب(atheist universe) بالغة الإنكليزية من تأليف: (ديفيدميليز) مكون من 12فصل .

[92] - شبلي العيسمى - علمانية .. المصدرالسابق ص37

[93] - من هنا تأتي الإلتباس في فهم العلمانية كأنه يمثل وجهة النظر العلمية خاصة في عالم الإسلامي .

[94] -جان جاك روسو-فى العقد الأجتماعى –ترجمة:زوقان قرقوط، دار القلم –بيروت ص208 (ونقله لكتاب المذكوربصيغة: وطن المسيحى ليس في هذا الدنيا) .

[95] كتاب المقدس-العهد الجديد مت(34:6)

[96] روجيه غارودى- ماركسية قرن عشرين-ت:نزيه الحكيم ص146

[97] د محمد شحرور-الكتاب والقران ص101 .

[98] - يجب أن تلاحظ ضمن هذا السياق العلمانية حاجة ضمن الوضع الديني (المسيحي) ومجتمع الأوروبي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أ- من الناحية الفكرية: ظهرت إنتماءات آيديولوجية في رحم الإنتماء الديني والإجتماعي، كما وان المذهب المادي الفلسفي خرج من المذهب المثالي .

ب- من الناحية السياسية: إذ نشأ المذهب المكافيلي فى السياسة، وتحولت:الإنتمائات العمودية الإجتماعية الى أفقية مدنية، والثيوكراتية الى ديموقراطية، ومن ثم الإمبراطورية الى ملكية وجمهورية.

ت- من الناحية الإقتصادية: نشأت الرأسمالية في رحم الإقطاعية، وكذلك الصناعة من الزراعة، وأدى ذلك الى بروز مصالح خاصة فردية، وتحويل مركز الثقل من القرية الى المدينة، ومن البدوية الى التوطين والحضارة، ومن ملكية الأراضي الى ملكية وسائل الإنتاج.

ث- من الناحية الإجتماعية: نشوء فكرةالقومية من تحول الأنتماء العشائرية الى الأنتماء القومية، والبورجوازية من الإقطاعية، وتحرر العقول الفردية من العقول الجمعية، وتحول طبقة الفلاحين تدريجياً الى العمال .

ج- من الناحية القانونية: تحول العرف والعادات الى قوانين، والتشريعات الدينية الى الدساتير، ومجالس الكنيسة الى برلمانات، ومن السلطة الدينية الى السلطة القانونية، ومن الفخامة الى السيادة[99] .وبدأت العلاقة القانونية تنشأ بين الإقليم (الوطن) والشعب(القوم) والسلطة السياسية .

ح- من الناحية الدينية: تحولت السلطة الدينية الى السلطة العلمانية .

هكذا تم أحداث تغيرات جذرية في العالم، وظهرت الدول الحديثة، وأنتفض العقل، وأطلق سراح السياسة والمجتمع كأنه إنفجار نحو العلمانية.

	العلمانية		السلطة الدينية
1	عقلاني وعلمي	1	لا عقلاني وجاهلي
2	تقدم	2	تخلف
3	كفائة	3	وراثة
4	ديموقراطية	4	ثيوقراطية
5	جمهورية (أو ملكية دستورية)	5	امبراطورية
6	إنساني، أرضي، دنيوي	6	ديني، سماوي، أخروي، منتظر
7	حداثي	7	تزمت
8	قانون وضعي متطور	8	تشريعات بالية
9	مدنية	9	قبلية
10	اهتمام بالحاضر	10	اما تقديس الماضي أو اهتمام بالآخرة
11	التجديد والعلمانية مع الزمن	11	البقاء والإنعزالية مع الزمن
12	السير مع التأريخ	12	عكس الإتجاه

جدول رقم -1-مقارنة وفق مفهوم العلمانى

[99]- **جاء في بروتوكولات حكماء الصهيون من بروتوكول(1) الى (5) شبيه بتحولات المذكورة هنا.**

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثاني: مفهوم الإسلام

الإسلام هو الطاعة والأنقياد[100] أو)(الأنقياد للحق بالنفس والقلب والأقبال اليه والأستقامة عليه والإجتناب عما يخالفه))[101]، بني الإسلام على الأركان الخمسة المعروفة، أما الإيمان درجة أعلى وأوسع من الإسلام، وأركانه ستة معروفة: لذلك ذهب البعض الى أن الإسلام هو طاعة وإنقياد ظاهري (لساني) أما الإيمان فهو تصديق قلبي[102]، (قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)[103] والأعرابي يعني (بدوي العرب، جاهل) العرب الخاص[104] أي أن الإيمان لا يجمع مع الجهل،كما اكدابن رشد وكذلك اخوان الصفا ان المؤمن هو (راسخون فى العلم) [105]، ويمكن القول: بأن المسلم مستسلم لله خوفاً منه، اما المؤمن فهو مستسلم حباً له وعلماً به. وبذلك يكون كل مؤمن مسلماً والعكس غير صحيح في بعض الأحوال، وفي المذهب الجعفري هناك درجات أخرى مثل (المسلم، المؤمن، المقلد، المجتهد، ..) يتميز كل منهم عن الآخر بضوابط دينية، بينما لا يوجدفرق بين المؤمن والمسلم في المذهب الحنفى[106] .

ان الرسالة الإسلامية جاءت لتهدي الإنسان وتنقذه من الضلالة الى النور والإنسانية[107]، وتعني أن الإنسان وبقية المخلوقات لم تخلق عبثاً، بل خلقت من أجل أداء غاية مقدسة، والإلتزام بأوامر الله رب الخلق كلهم دون شريك، وهو مبعثهم ليوم العدل ومرسل الأنبياء بالكتب ليبين للناس، وقد فصل الحق عن الباطل، وأن محمد بن عبدالله ﷺ (المولد في 570 م)[108] هو خاتم الأنبياء، والقرآن كتابه، والإسلام دينه، والذين يستجيبون لدعوته هم أمته[109]، كما جاءت هذه الأوصاف بشكل آخر في المعجم الشامل كما يلي: ((الدين منسوب الى الله، والملة الى الرسول، والمذهب الى المجتهد، وأما الشريعة فتضاف الى الله والنبي والأمة من حيث أنها يطاع بها تسمى ديناً[110])) وكل أمر يخالف هذا الدين يعتبر باطلاً وتمرداً. (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ...)[111] .

---

[100] أ- ابو الحسن الجرجاني-- التعريفات –دار الشؤون الثقافة – بغداد ص20 ب--د.قطب مصطفى سانو، المعجم مصطلحات أصول الفقهية، دارالفكر-دمشق، ط1 2000م ص62 ج- المعجم الشامل .. المصدرالسابق ص62

[101] د. رفيق العجم - موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي –مكتبة لبنان الطبعة الأولى 1999 \ص 56

[102] -أ- تعريفات .. المصدرالسابق ص20، ب- معجم الشامل .. المصدرالسابق ص 63، ج- معجم مصطلحات أصول الفقه .. المصدرالسابق ص 107

[103] الحجرات –اية(14)

[104] - ابن المنظور -لسان العرب المحيط –تصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العربى-بيروت مادة: عرب.

[105] من رسائل اخوان الصفاء..رقم:37 ص124

[106] التعريفات للجرجاني .. المصدرالسابق ص20

[107] - (..يخرجهم من الظلمات الى النور). آية (257) سورة(البقرة)

[108] - موسوعة الأديان . .. المصدرالسابق. ص23

[109] - تعريفات الجرجاني .. المصدرالسابق ص62

[110] - معجم الشامل .. المصدرالسابق. ص 359

[111] - سورة آل عمران، آية رقم (85)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وان الرسول-ص-أنشأ على هذا الأساس الدولة الإسلامية في المدينة، ثم توسعت لتشمل آسيا وأفريقا وأوروبا، حاملاً رسالة وثقافة وحضارة ومدنية عالمية، ولايزال الإسلام يشكل أقوى عنصر روحي وثاني أكبر دين في العالم ورسوله لازال أقوى شخصية مؤثرة [112].

[112] -.أنظر:د.مايل هارد، مئة -100، ترجمة:أسعد قرداخى ط2\1990 سليماني-بروزه ى هاوسه ر (وقد جاء اسمه فى أول المئة)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الأول: رؤية فلسفية عن الإسلام

ان الله خلق هذا الكون (وما يحتويه) من الذرة الى المجرة، ومن الخلية الى أكبر كائن، قيده بقوانين ثابتة، كما جاء في القرآن الكريم (الذي أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى[113])، (.. وأوحى في كل سماء أمرها)[114]، أي ان فلسفة الوجود تتمثل في عمليتين: 1- الخلق، وهو عملية من العدم الى الوجود 2- الهدى، وهى وضع برنامج لكل شيء، وهما بديهيتان فلسفيتان تبنى عليهما مساحة واسعة من الفلسفة الإسلامية.

وهذا يدل على أن كل شيئ في هذا الكون مسيرٌ ويؤدي وظيفة معينة، وفي حالة حركة دائمية ودائرية، مغلقة وإجبارية، فلا مجال للماء بالخروج من دائرته (سائل-غاز-جليد-سائل) الى دائرة أرقى كالذهب مثلاً، مهما تكررت حركته كماً وكيفاً، كما توهمت الفلسفة المادية-التطورية التي حاولت تفسير وجود العالم والطبيعة والحياة والإنسان بواسطة حركة التطور، فالفلسفة المادية ترى أن كل شيئ في حالة تطورعبر التناقض المكمنة فيها، وبها تنشأ الأنواع، لذلك تحكم على أن الوجود ليس إلا مادة متحركة، وهي أوسع مفهوم[115]، ولكن المأخذ الأول عليها هو أنه ليست كل (حركة) تؤدى الى (التطور)، وشاء الله ان يكون الإنسان الكائن الكونى الوحيد المخير فى التطور ان أراد[116]، فبوسعه ان يتمرد ويسبب الشر والظلم، كذلك بوسعه ان يكون عنصراً خيراً وهادياً في هذه الحياة (فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فليكفر).[117]

هذا هو الأساس الفلسفي لمعنى خلافة الإنسان في الأرض، وكل ذلك يوافق مساحة الحرية الممنوحة للإنسان، اذن هناك عدة مجالات وإحتمالات امام الإنسان في علاقته الأفقية (انسان مع إنسان) والعمودية (الإنسان مع الطبيعة)..، من الصعب إيجاد العدالة في هذه العلاقات والمجالات المذكورة بنظام مرتب ودقيق (ستاندر) في توزيع الحق والواجب خالياً من الظلم والكوارث والمضاعفات مادام عقل الإنسان مائلة الى الأنانية، لذلك يحتاج الإنسان الى الدين والمنهج المرسل من قبل الخالق الذي خلق الكون والإنسان ليهديه الى الرشد، والطريق المستقيم والعدالة، وينقذه من الضلالة (في كل النواحي) الى النور، ومن الجهالة الى العلم، ومن الجورالى العدل، ومن الشرـ الى الخير، .. ومن هنا دخلت المفاهيم الأخلاقية (كالعدالة والخير والإنسانية والتعاون) عن طريق الوحي (و الأديان السماوية)الى العلم البشري، وتم التعبير عنها على شكل الفلسفة والآيدولوجية والسياسة، ثم حاول بعض الناس ان يبتدعوا منظومة الحياة الوضعية من هامش هذا العلم كبدائل للدين، التي تتمثل الآن بالأحزاب والمدارس الفكرية والسياسية الوضعية، ويميل الإسلاميون المعاصرون ان تطلق عليها ب(العلمانية) أو التيار العقلي أحياناً[118]، والتيار العقلي المجرد بدون سند ديني يفتقر الى الشمولية ويعاني من: الآنية وآحادية الجانب والسطحية والظاهرية في فهمه للدنيا والآخرة، وكذلك لا يخلو من الظلم (حتى ولو لم يقصد الظلم) ما لم يلتزم بالوحي المنزل (فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)[119] أما الإسلام هو دين ومنهج متكامل يتصف بالشمولية للأبعاد الثلاثة الآتية:

---

[113] - سورة(طه) اية(50).

[114] سورة(فصلت)اية(12)

[115] - بودوستنيك وياخود-عرض موجز للمادية الديالكتيكية-دار التقدم\موسكو ص32

[116] - نحن نتحدث من العالم المادي المحسوس والا هناك حضارة أخرى تماثل الإنسان في هذه الحرية وهي الجن

[117] - سورة(كهف) اية(29)

[118] - رغم ان العقل الصحيح لا يعارض نقل الصريح .

[119] المائدة اية(43)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

1- يشمل جميع جوانب الحياة.
2- يشمل كل زمان ومكان ولكل الناس في أجياله المتعاقبة.
3- يشمل لعالمي الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة [120]

انه المنهج الوحيد الذي يتلاءم مع البشرية في كل مراحلها ويوازن بين: معطيات الطبيعة والمتطلبات البشرية، بين المصلحة العامة والخاصة، بين الإرادة والممكنات، بين الحرية والفوضى، بين المادية والروحية، بين الدنيا والآخرة، .. أي أن تطبيق الشريعة الإسلامية يضمن للإنسان العدل في الأرض والجنة في السماء، فالإسلام حامل الشريعة الكونية لا يقبل الشيخوخة[121]، اذ لا يفنى ولا يجدد، بل يشمل التجديد: إصلاح الفكر الإنساني وطريقة فهمه لهذا الدين، ومن جهة أخرى إصلاح المجتمع طبقا لشريعة الله، بهذا يكون الدين هو الوحى المنزل والبقية من التفسير والعقيدة والفقه ..والمذاهب والطوائف ليس ديناٌ،هى فهم الانسان لهذا الدين ، المتدين مقيد بالدين وليس بالفهم الدينى ، فأى اصلاح او تجديد يشمل فهم الدينى وليس الدين بعينه، ولكل عصر شكل وتعبير خاص لتجديد والإصلاح .. ففي هذا العصر يتم التعبير عن هذا التجديد بالحركات والدعوات التي سميت بالصحوة الإسلامية، وهي تطرح برامجها لقضايا مشاكل المجتمع المعاصر، بما فيها "نظرية الدولة" (التي نتناولها لاحقاً) وبذلك يكون الإسلام(واديان السماوية الحقيقية اخرى) على عكس بعض الأديان الحالية لايتعارض مع العقل الصحيح، وهذا التعارض في أوروبا أدى الى ظهور العلمانية، بل بالعكس فإن الإنجازات العلمية والعقلية الحقيقية تؤدي الى تعزيز الحقائق الإسلامية .

[120] - بهذا يشمل الإسلام بعدا الروحية والمادية في الإنسان، يحدد علاقة المتوازنة بين الإنسان والإنسان من جهته ومع المجتمع من الجهة الأخرى، وبين الحاكم والمحكوم، ... يتميز عن المسيحية وكثير من أديان أخرى بأنه دين الجماعة (وليست دين الفردي بين الشخص وإلهه) يربطهم بعقود إجتماعية وسياسية والحقوقية، تعني انه غير ثيوقراطي وغير لاهوتي، لايوجد فيه رجال الدين التى تتوسط بين الإله والعامية الناس.

[121] - القوانين الحقيقية (ان كان كونية أو طبيعية أو اجتماعية)، شأنها شأن(الحقيقية) يتصف بمواصفات التالية: 1- موجود موضوعيا لا يعتمد على أوضاع ومستوى معرفتنا . 2- دائماً جديدة . 3- ثابتة ولا يشملها التغيرات والتطورات والشيخوخة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثانى: الإسلام والإسلامي

الدين هو الوحى اما تجربةالإسلامية هى برنامج مكون بالأساس من القرآن والسنة ثم يليهما المصادر الأخرى المعتبرة في الشريعة الإسلامية، وعلى العموم يتكون من الشريعة والعقيدة، أما الإسلامي (في هذا العصر) فهو الذي يعمل من أجل تحقيق هذا البرنامج، ويناضل (قانونياً) من أجل جعل الدستور مستوحيً من الشريعة الإسلامية وحدها دون شريك، ويطلق على كل شخص أو جماعة تناضل من أجل ذلك بـ (إسلامي) أو (الإسلام السياسي)، وهو (حسب الفهم الإسلامي) مصطلح خاطئ، لأن الإسلام بطبيعته يحتوي على السياسة والحكم ونظام الإقتصاد ..الخ فالإسلام بدون السياسةوالحكم كما جاء في الحديث: (تنقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقض الحكم وأخرهن الصلاة)[122] وكان محمد بن عبدالله هو الرسول وفي الوقت نفسه رئيساً سياسياً للدولة في المدينة، لاغياً هذا التقسيم بين الإسلام السياسي واللاسياسي .

واذا كان الإسلام السياسي متهماً بأقحام الدين في السياسة، فأن الإسلام اللاسياسي كذلك متهم بتخدير الشعوب والجمود والقعود، ومنه أطلق عليه (أفيون الشعوب)، وهذا يعني أن الإسلام في كل أحواله متهم سياسياً أو غير سياسي 0

وشاع المصطلح (الإسلام السياسي)فى نهاية القرن الماضي بعد تطور الصحوة الإسلامية رامياً الى الفصل بين الإسلاميين الحركيين والمسلمين التقليديين، كأن الإسلام السياسي يعمل للدنيا فقط، والإسلام غير السياسي للآخرة، بيد أنه لايوجدفي النظام الإسلامي أي تناقض بين الدنيا والآخرة، وكانت العلمانية تدعى أنها جاءت لحل التناقض المذكور، يقول د. محمد محرم: ((مجرد الأنشغال بأمور الدنيا والمعاش يعني العلمانية))، ويضيف (كل المسلمين بالتالي علمانيون)، (أن الناس علمانيون بالفطرة)[123]، وهناك آراء أخرى مشابهه لأرائه حول هذه المسألة ... وهذه الآراء تأتي من منطلق أن كل دين شأنه أخروي لا دنيوي[124]، وهذا مرفوض في الإسلام مطلقاً ، لأن الإنشغال بالدنيا حلال بل واجب[125] شريطة ان يراعي الحلال والحرام والحدود[126]، وان احدى أهم واجبات الصحوة الإسلامية هي تصحيح هذه المفاهيم.

جاءت الفكرة الإسلامية (أو الصحوة الإسلامية) في أعقاب إنهيار الخلافة الإسلامية التي تبدأ من إنقلاب (1908-1909م) العلماني القومي، وأنتهى في 1924/3/3 بالإلغاء النهائي للخلافة من قبل المجلس الوطني الكبير التركي بقيادة مصطفى كمال، وفي هذه الفترة ظهرت فكرة (الجامعة الإسلامية) من قبل سلطان عبدالحميد وعدد من العلماء أمثال(الشيخ سعيد النورسي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد رشيد رضا ...) وبشعار (يا مسلمى العالم أتحدوا)[127]، ونشأت فيما بعد عدد من الجمعيات الدينية (خفيفة المسيسة)، من جنوب آسيا الى شمال أفريقا ومن آسيا الوسطى الى وسط أفريقا . ولعل أبرزها (الإتحاد المحمدي)

---

[122] مسند الإمام أحمد –حديث أبى امامةالباهلى، مجمع الزواهد –كتاب الفتن، رقم الحديث:11744

[123] - علمانية تحت المجهر .. المصدرالسابق. ص68

[124] - ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ للدين، اتفق البابا مع موسوليني أن يتولى (موسوليني) أمور الإنسان كلها من الولادة الى النعش، وبعد الموت يأتي دور البابا!؟.

[125] - ..لاتنسى نصيبك من الدنيا \سورة قصص، اية77

[126] - بذلك تختلف المشغولية بالدنيا وفق المنظور الإسلامي عنها في الليبرالية والشيوعية كما أوضحنا ذلك في موضوع (المدارس والجدول المقارن)

[127] - هذا الشعار كان فبل شعار الشيوعي (ياعمال العالم أتحدوا) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

لمؤسسها سعيد النورسي في 1908م [128]، اما في العراق يأتي (الحزب الإسلامي) في المرتبة الأولى زمنيا حيث أسسه (محمد فاضل داغستاني) في سنة 1908م الذي كان معادياً لنشاط الإتحاد والترقي[129]، وهناك حزب النهضة الإسلامية الذي تأسس سنة 1918م وهو أكثر توسعاً ونشاطاً أثناء الإحتلال البريطاني للعراق، لا سيما في أحداث ثورة العشرين، وهناك الحزب الإسلامي القريب من الشيخ محمود ومعادى لبريطانيافي مدينة السليمانية [130]، وهكذا برزت تنظيمات مماثلة في كثير من الولايات الى أن تمت ولادة جماعة الإخوان المسلمين بقيادة المؤسس – حسن البنا في سنة 1928م، ثم حزب الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية في سنة 1941م بقيادة أبو الأعلى المودودى ..و حزب التحرير في سنة 1952م على يد (تقي الدين النبهاني)[131]، لكن بقيت الفكرة الإسلامية السياسية محصورة ضمن نخبة من المثقفين دون إيجاد تجربة ناجحة، الى ان فجرت الثورة الإيرانية في 1979م بقيادة (اَ -خميني) ومن ثم ثورة تحرير أفغانستان ضد الإحتلال السوفيتي، حيث تعدت حدود النخبة والجوامع وانتقلت الى الشارع ومن ثم الى ميادين الحياة التي أبعدت عنها من قبل، فأضافت بعداً آخرالى متغيرات العالم، وفيما بعد أصبحت الأحزاب الإسلامية أكثر جماهيريةً من الأحزاب العلمانية، كما يتبين ذلك بوضوح في الإنتخابات الديموقراطية بعد التسعينات من القرن العشرين لحد الأن في كل من الجزائر، تاجكستان، تركيا، البحرين، باكستان، فلسطين، العراق[132]...، وفقاً لما يراه (الإسلاميون) أن المسلمين بدأوا ينفصلون عن الإسلام تدريجياً منذ عهد معاوية وانتهى بفصل شبه تام في 1924/3/3م وهو اليوم الذي تم فيه إلغاء الخلافة على يد اتاتورك، وان الحركات الإسلامية لم تأت فقط للتوسط بين الله والمسلمين[133]، بل أتت للتوسط بين الإسلام والمسلمين والمصالحة ثم توحيدهما ..، والتوحيد بين المفاهيم المزدوجة التالية: سلطة الأرض وسلطة السماء، الدنيا والآخرة، شريعة السماء وشريعة الأرض، العلماء والأمراء، الدين والدولة، السياسة والإسلام، وهكذا يكون التغير شاملاً في برنامج الإسلام السياسي، والتناقض الشامل مع العلمانية الى حد الثنائية، لأن وجود العلمانية رهن بالفصل بين الإسلام والمسلمين، وهذه هى ساحة المعركة الحقيقية بينهما.

وهناك عدة عوامل ساعدت ولازالت تساعدفى تقدم الصحوة الإسلامية وتراجع العلمانية، لا سيما في نهاية القرن (20)، ولكن هى خارجة عن المنهج المقرر فى هذا البحث .

---

[128] - هناك جمعيات اخرى مثلاً العروة الوثقى تابعه للأفغاني لكنه كثير من المؤرخين يشكون فيه والبعض يذهب الى أبعد حيث يصفونه ضمن محاولات ماسونية، وهناك جمعيات أخرى قريبة من الإسلام لكن بعده شكلت، ربما هي أقرب الى الحقيقة.

[129] - د محمد سيد نوري البازياني - مستقبل الحركة الإسلامية في كردستان العراق – الطبعة الأولى 2006 مكتب تفسير- أربيل ص 21.

[130] - سروة احمد- كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى الى نهاية مشكلة الموصل –ط1\2001، وزارة التربية –أربيل ص 169

[131] - ينظر: كتاب (مسعود عبدالخالق- هه لبزاردن له نيوان ئيسلامى و عه لماني ، ج1\2005ز-هه وليز ل10-11)

[132] - في انتخابات سنة 2005م في العراق جاء الإسلاميون في المرتبه الأولى وفي تركياوفلسطين ايضا في مرتبه الأولى...

[133] - هذا النوع من التوسط يخص الصوفية أكثر، وهي ركن هام لكن ناقص بوحده، وهو نفس الدور الذي يلعبه رجال الدين في المسيحية، وكلاهما مقبول لدى نظام العالمي الحديث والعلمانية، شريطة أن يبقى الدين المحصورة بين القلوب والرب ولا يتجاوز الى أفكار ونظريات السياسية والحركات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثالث: العلمانية [134] في العالم الإسلامي:

الفرع الأول-دخول العلمانية الى العالم الإسلامي: أن التعاليم المسيحية في الإنجيل(الحالى) لا تحتوي على الشريعة، ويعترف بذلك في (الكتاب المقدس-جزء: جدول وشروح) نفسه، إذ جاء فيه حول معنى الانجيل: ((أنه يحتوي على أهم اعمال المسيح وأقواله ...)) [135] أي يحتوى على أعمال وأقوال المسيح وليس على الشريعة، وذلك لم يقتصر على اناجيل الأربعة(مرقص،يوحنا،لوقا،بولص) بل الأمر نفسه مع انجيل برنابا،وبهذا ترك الأنجيل فراغاً هاماً لكل من يريد إملاءه، وكان رجال الدين يملئونه بإجتهاداتهم وارائهم حسب مصالحهم، وهذه الشريعة التي افرزتها اجتهاداتهم هي بحد ذاتها زيادة وبدعة في المسيحية، في الحقيقة ماجرى في اوروبا لم يكن ثورة على المسيحية بالكامل، بل على هذه الزيادة، وبعد الثورة على الكنيسة واحداث تغييرات فى المسيحية عادوا من الصراع الى الوحدة والتكيف بين كل من: العلمانية والمسيحية والتراث، كل في مكانه، وادى ذلك الى بناء حضارة جديدة ومتقدمة، هكذا دخلت العلمانية بصعوبة الى المجتمع الأوروبي ولكن استقرت بسهولة فيه.

اما في المجتمع الإسلامي فإن هناك قرآناً حياً (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[136] فيه عقيدة وشريعة في صلب الدين، دون فصل بينهما،رغم ان كثير من جوانب فقه الإسلامى يفتقر الى الدقة علمية لكن فى النهاية لم يترك أي فراغ في طياته حتى تأتي العلمانية لتملأه، لذلك من الصعب إدخال العلمانية بشكل طبيعي الى العالم الإسلامي في ظل وجود أحكام القرآن، ربما عملية (العلمنة) تحتاج الى قوة خارجية لفرضها، وزحزحة القرآن من قلوب المسلمين..، لذلك ذهب كثير من الباحثين الى الربط بين العلمانية والمشاريع الإستعمارية والصهيونية[137] .. والدليل على ذلك أقوال قادة الغرب حول الإسلام والقرآن والكعبة والقدس، حيث لم يترددوا في قولهم ان الإسلام هو عائق الرئيسي لعدم إحتلال العالم الإسلامي، فهذا قائد الحملة البرتغالية ضد المسلمين فى الأندلس عام1515م الذى كان شعاره: ((طرد المسلمين وأخماد النار المحمدية الى الأبد)) [138]، كذلك قول الجنرال لنبي عند دخوله القدس عام1918م: ((الآن انتهت الحروب الصليبية))[139]، وقد رفع جلادستون-رئيس وزراءبريطانيا - القرأن بيده مخاطباًزملاءه من الوزراء:(مادام هذا القرأن فى أيدى المسلمين يتدارسونه ويقبلون على العناية، لن تقوم لنا قائمة،

---

[134] - ملاحظة: مرات نذكر تغريب، وهو قريبة من العلمانية ان لم يكن متطابقة، جاء في (العلمانية تحت المجهر ص49) التغريب يعني: فرض إنماط واساليب الغربية التي يتم فرضها هي لإنماط والأساليب والمعاير العلمانية .. (تؤدي العلمانية في معظم الأحيان الى التغريب ولكن ليست كل علمانية تغريبية هناك علمنة على نمط الشيوعية مثلاً.

[135] - الإنجيل كلمة من اصل اليوناني يعنى بشارة، اما التورات تعني شريعة، وزند – آفستا تعني تفسير – او قانون (جدول شروح ... العهد الجديد –كتاب المقدس .. المصدرالسابق)

[136] القرأن الكر يم، سورة (فجر) اية-9-

[137] - بالإضافة الى هذا، جاء في بروتوكولات من المواد (2-5) ما شابه بنتبئو بما حدث، كأنه ماجرى في عالم الإسلامي مبرمج من قبلهم.

[138] -د.عدنان - المسلمون .. المصدرالسابق ص10

[139] - الموسوعة الميسرة .. المصدرالسابق ص150

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فلا بد العمل على انتزاع هذا الكتاب من عقولهم وقلوبهم))[140]، وقد أدركت أطراف الحرب العالمية الأولى أيضاً أهمية القرأن كوسيلة للجهاد في ساحة القتال لذلك أخذت الإستعدادات اللازمة ضده[141].

هكذا تكون العلمنة في العالم الإسلامي بحاجة الى خطة وبرنامج معقد وطويل الأمد وأحياناً الى حملات عسكرية استعمارية وغزوات فكرية وحضارية وثقافية وأحياناً أخرى تبشيرية0

لذلك فإن اسباب ووسائل ومبررات العلمانية في الغرب تختلف كلياً عن الحالة في العالم إسلامي، حيث دخلت العلمانية الى العالم الإسلامي من الغرب في بداية القرن العشرين مع الحملات العسكرية، وفي ظل ظروف السيئة للعالم الإسلامي فى النواحى السياسية والإجتماعة والحضارية والعسكرية وكالآتي:

1- انهيار الخلافة الإسلامية وانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأوْلى 1914-1918م.
2- احتلال العالم الإسلامي وتقسيمه من قبل الدول التي رفعت راية العلمانية .
3- و من الداخل ؛ كانت الأمة الإسلامية تعاني من إنقسام الى قوميات وطوائف وأعراق، أدى ذلك الى تجزئة دار الإسلام (الوطن الإسلامي) الى دويلات وأوطان مختلفة .
4- هيمنة الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية بشكل حاد.

و بموجب قاعدة ابن خلدون (بأن المغلوب مولع أبداً بالأقتداء بالغالب)[142]، وفي هذه الحالة (غير طبيعية) حالة هيمنة الغرب على العالم الإسلامي عسكرياً وسياسياً وثقافياً وعلمياً سادت العلمانية فيه... بعد أن كان الإسلام هو الغالب والمهيمن، وكان نموذجاً للتقدم والحضارة وشاهداً على عصره، يقول (شبلى عيسمى)بهذا الصدد: ((ان أول موجة من النور اضاءت اوروبا كانت مؤلفات ابن رشد لذا حرمت الكنيسة الإطلاع على كتبه [143]))، وجاء من وثائق تأريخية أن ملك بريطانيا(جورج) كتب الى (هشام الثالث) خليفة الأندلس وطلب منه مساعدة الطلاب البريطانين للتعلم فى جامعات الأندلس[144]، واكثر من هذا تعميقاً يقول(ويل ديورانت)فى مقدمة كتابه (قصة الحضارة) :("تراثنا الحديث" وفيه تاريخ الاختراع والسياسة والعلم والفلسفة والدين والأخلاق والأدب والفن في أوربا منذ تولى نابليون الحكم إلى عصرنا الحاضر، إن قصتنا تبدأ بالشرق، لا لأن آسيا كانت مسرحاً لأقدم مدنيّة معروفة لنا فحسب، بل كذلك لأن تلك المدنيات كونت البطانة والأساس للثقافة اليونانية والرومانية)[145].

---

[140] بنى مرجة-صحوة .. المصدرالسابق ص199

[141] للتوسع نرجوالنظر الى كتب التالي : عباس محمود عقاد- مايقال عن الإسلام ص91 ، جورج كامبل-الأفرقا الإستوائية ج2ص276 ، مايكل ريبون-النار السوداءحرب العصابات فى روديسيا ص76-، ص117 ، معذبو الأرض- ص6 ، عبدالكريم العبيدى - تصفية المصالح الإمبريالية الأمريكية ص48 ، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص7 ، إدوارد سعيد (الاستشراق والثقافة والإمبريالية - Orientalism 1978، Culture & Imperialism ,new york 1993)، روجيه غارودى-ماركسية قرن عشرين ص149 وص195 ،هارى ماجدؤف-الإمبريالية من عصرالإستعمار الى اليوم ص67 التبشير والاستعمار ص 104

[142] ابن الخلدون –مقدمة تحقيق:د.حامد أحمد الطاهر، دار الفجر-القاهرة ص192

[143] - شبلي العيسمى - العلمانية .. المصدرالسابق ص36

[144] - نص الرسالة فى w.w.wstandardkurd.com

[145] ويل ديورانت-قصة الحضارة- ج1ص9 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

استمر صعود النجم الإسلامي حتى حوالي القرن (17– 18م)[146] وكانت الآلة العسكرية العثمانية هي الأقوى[147]، وبدأ فيما بعد التخلف الثقافي والديني والحضاري يسود العالم الإسلامي، في حين تمر أوروبا بمراحل نحو الصعود: من عصر الظلمات الى (العصور الوسطى) ومنها الى عصر النهضة وعصر التنوير ثم العهد الحديث (العلماني)، بعكس العالم الإسلامي حيث بدأ يسير نحو النزول، وعادت الثقافة الغربية والشرقية، القديمة منها والحديثة، تدخل الى عقل المسلم في جميع الجهات تمهيداً لنشر العلمانية 0

ونلخص أهم المراحل والمحطات التأريخية لهذه العملية التي ساهمت في نشر العلمانية في العالم الإسلامي وكالآتي:

+ تأريخياً، أول حملة استعمارية يرافقها غزو فكري وثقافي كانت هى حملة أسكندر المقدوني على الشرق في قرن (4-3ق م) حيث رافقتها هيئة من العلماء، ونتج عنها الحركة المسماة فيما بعد بالهلنيستية[148]، جا ء في (الملل والنحل): ((..لفيثاكورس تلميذان رشيدان، يدعى أحدهما (ملتسكس) ويعرف بـ(مرزنوس) وقد دخل فارس ودعا الناس الى (حكمة فيثاكورس) وأضيفت حكمته الى (مجوسية القوم)، ويدعي الآخر (فلانوس) دخل الهند ودعا الناس الى (حكمة فيثاكورس) أيضاً واضيفت حكمته الى (برهمة القوم) .. إلا ان المجوس اخذوا جسمانية قوله والهند أخذوا روحانية قوله[149]))، هذه الحركة تركت أثرها من الشرق الأوسط الى المحيط الهندي، ونتيجة لذلك نجد أكثرية الأديان والعقائد القديمة فيهانوع من الفصل بين سلطة السماء والأرض إنعكاساً للفلسفة اليونانية، هذا الفصل عاد ودخل تدريجياً الى العالم الإسلامي بعد الخلافة الراشدة مع التجارب والأفكار والعادات اللاإسلامية الأخرى، بعضها إيجابية مصنفة على تجارب البشرية العلمية، والأخرى سلبية مصنفة على بدعة في المنهج، ولكن في النهاية فتحت الأبواب لإستيراد هذه التجارب على حساب المنهج الإسلامي، نورد بعضا منها:

+ اول انحراف جاء به معاوية عندماغصب الخلافة وحولها الى الوراثة .

+وفي عهد العباسيين دخلت العادات غير الإسلامية... كماسادت الفلسفة الإغريقية على الحياة الفكرية [150] .

+ أول تجربة وزارية دخلت الى الحكم الإسلامي في عهد العباسيين فترة132-232ه مأخوذة من فارس[151] .

+ بدأت مراكز الخلافة تتعدد ، ففي وقت واحد (مثلاً) توجد ثلاث خلافات بأسم الإسلام1- العباسيين في العراق، 2- الأمويين في الأندلس، 3-الفاطميين في أفريقية وصقلية وجنوب إيطاليا، ثم مصر وقسم كبير من الشام[152] .

+ بدأ هارون الرشيد يتعاون مع المرابطين المسيحين في الأندلس ضد الخلافة الإسلامية، وهناك حديث تاريخي حول العلاقة المشبوهة بين هارون الرشيد بالشارلمان*، مباشرة او عبر التجار سراً[153] ،ولكن بسبب قوة الخلافة لم يتبين أثر هذه

---

[146] - د.عدنان - المسلمون .. المصدرالسابق. ص 85

[147] - المدفعية والهاون العثمانى والتى استخدم لفتح القسطنطنية كما سنفصلها فى فصل القادم

[148] - مصطلح يتكون من لفضين(هيلن =أجداد+ ئيست=الشرق)و يعني التزاوج بين الثقافة اليونانية والشرقية.يذكر أن القدماء الأغريق كانوا يطلقون عن بلاديونان ب(هيلاس)-أنظر ويل ديورانت –أبطال فى التاريخ - ص96

[149] - ابي الفتح الشهرستاني- الملل والنحل – تحققت محمد عبدالقادر الفضل، بيروت، طبعة الأولى ج3 ص79 -{ كذلك يورد قصة الحضارة – ج13 قصة فرار كثير من الفلاسفة اليونانين في 529 م عندما غلق مدارس أثينا } .

[150] - الموسوعة الأديان في العالم – المشرف العام: جميل مربك، طبعة الأصلية 2000، بيروت، ، ج: الإسلام - ص15.

[151] أ.د.محمد الحرب- موسوعةسفيرالتاريخ –طبعة القاهرة ج3ص143 .

[152] - د.وهبة الزحيلى –الفقه الأسلامى وأدلته، مؤسسةالأبحاث العربية –بيروت، ط4 2004م ص6307 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الظواهركثيراً إلا بعد ضعف الخلافة في العهد العثماني التي سميت فيما بعد بالرجل المريض، وهم كذلك استمروا بشكل أوسع في إتباع سياسة الباب المفتوح والتغريب، ومعه وقفة قصيرة:

التغريب في عهدالعثمانيين:

1- في عهد السلطان محمود الثاني قضي على الإنكشارية سنة 1826م وأمر بتشكيل جيش أخر بزي عسكري على النمط الأوروبي.

2- تنازل سلطان عبدالمجيد عام1839 لدستور مختلط بين الشريعة الإسلامية ومبادئ الثورة الفرنسية، بذلك جاءت أول شراكة للشريعة مباشرة .

3- منذ 1830م بدأ المبعوثون العائدون من أوروبا بترجمة كتب فولتيرَ ورِوسو ومونتسيكو في محاولة منهم لنشر الفكر الأوروبي الذي ثار ضد الدين المسيحي في القرن 18.

4- في سنة 1856 انضمت العثمانية الى (عائلة اوروبية) التي بنيت بعد صلح ويستيفاليا سنة 1648 على اساس علماني[154] .

5- و في مصر (وهو ولاية عثمانية) بدأ محمد على (والي مصر)- الذي تولى الحكم عام 1805م - ببناء جيش على النظام الفرنسي[155]، ومنذ السنة المذكورة تعتبر اصلاحات محمد على جذوراً للعلمانية، كما عمد الى ابتعاث الأزهرين من اجل التخصص في أوروبا،

6- في تونس انشأ(احمد باشا باي الأول) جيشاً نظامياً وفتح مدرسة العلوم الحربية فيها ضباط وأساتذة فرنسيون وايطاليون وانجليز.

7- وفي إيران- مع انها ليست ضمن الدولة العثمانية لكنها ضمن العالم الإسلامي- افتتحت سنة 1852 كلية للعلوم والفنون على أساس غربي .

8- في لبنان منذ عام 1860 بدأت حركة التغريب عن طريق إرساليات، ومنها الى مصر في ظل حكم الخديوي إسماعيل الذي كان هدفه ان يجعل مصر قطعة من اوروبا، وفي 1867 زار خديوي باريس تزامناً مع زيارة سلطان عبدالعزيز، حينما لبيا دعوة الإمبراطور نابليون الثالث لحضور المعرض الفرنسي العام، وكلاهما كانايسيران في تيار الحضارة الغربية.

9- اما نصارى الشام فكانوا أول من إتصلوا بالبعثات التبشيرية والإرساليات، وتلقوا الثقافة الفرنسية والانجليزية، كماكانوا يشجعون العلمانية التحررية وذلك لعدم احساسهم بالولاء تجاه الدولة العثمانية، ويظهر منهم ما يدل على اعجابهم بالغرب ودعوتهم الى الإقتداء به، وقد ظهر ذلك في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها – ومن هؤلاء: (ناصيف يازجي 1800-1871، بطرس بستاني 1819-1883)، والأخير هو اول مسيحي يدعو الى العروبة والوطنية، اذ كان شعاره (حب الوطن من الإيمان)،

---

[153] -ينظر:أ- حامد غضبان الراوى –العروبة بين الشعوبية والأستعمار، مطبعة دار التضامن –بغداد 1963م ص22 ب-الموسوعة العربية .. المصدرالسابق ج11 2005–

*يعتبر شارلمان مؤسس دولة فرنسية وعاصر هارون الرشيد .

[154] -الزحيلى .. المصدرالسابق ص 6305

[155] - محمد علي كان أقرب الى فرنسا كما يظهر فيما بعد، عند صراعه مع الخلافة وسيطرته على الشام، وبقرار من مؤتمر لندن سنة 1860م أرجع الى حيث ما أتى، ولم يشترك فرنسا فيها بسبب معارضة للقرارات ضد محمد علي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وساهم في ترجمة البروتستانية للتوراة مع الأمريكيين (سميث وكانديك).}[156].

أمامن الناحية العسكرية: وهي عبارة عن نكسات عسكرية أمام الغرب، في أندلس أولاً ثم أفريقا وصولا الى الهند، ولكن الذي ترك أثراً بالغاً هوالفقدان التدريجي للولايات العثمانية منذ قرن (18)وفق تسلسله الزمني وكالأتي:

المجر 1774م، مصر 1808، صربيا 1870، رومانيا 1878، يونان 1882، بلغاريا 1908، طرابلس (ليبيا) 1911، البانيا 1913.[157] وكانت أثار هذه النكسات قوية ومباشرة في تعزيز الفكر العلماني وبالمقابل تقهقر الفكر الإسلامي، اما على الجبهة الروسية فإن الحرب ضد العثمانية في سنة 1875م أدى الى خلع السلطان بسبب الديون الحربية وقيام إدارة دولية للأشراف على قضية هذه الديون وأمر سدادها[158] ، ولاننسى ان اول قاعدة غربية على اراضى (دارالاسلام) هى البرتغال فى الخليج [159]،يقول لونكرينك ان البرتغاليين دخلو الخليج عام 1507م الى قلعة هرمز بالتعاون مع سلطات العشائرية هناك مقابل معونتهم له على خصومه من القبائل[160] ، اما أول تحدي داخلى خطير هو بروز مسألة إستقلال لبنان عن مركز الخلافة، والقصة كالأتى: كان النفوذ الفرنسي والإنجليزي موزعا بين المارونيين والدروز على التوالي، وادى ذلك الى فتنة طائفية بينهما، وفي النهاية تنازل السلطان للدول الأوروبية بمنح جبل لبنان نظاماً إدارياً خاصاً يحكمه نصراني، هكذا أخذت تفلت ولايات هنا وهناك، اما بالحركات الداخلية او نتيجة غزو إستعماري، من محيط الهند وأفغانستان .. الى المغرب والخليج العربي ومصر وشما ل أفريقا وبلاد الشام واخيراً وقعت الدولة العثمانية فى فخ الحرب العالمية الأولى وهزمت ثم انهارت[161].

اما على الصعيد الفكري: وهو ليس أقل أهمية من الميدان العسكري، فقد عجز الفكر الإسلامي*عن المواجهة تحديات وأسئلة العصر، ومن جهة أخرى استمرت التناقضات الفكرية الداخلية (بين المدارس الإسلامية) دون حسم، فلجاءوا الى الفلسفة اليونانية في سبيل إيجاد الحلول، جذور هذه الأزمات أتت من داخل الفكر الإسلامي نفسه الذي عجز عن تفسير بعض الظواهر السياسية الغريبة، ولاسيما الصراعات السياسية على السلطة، التى ادت الى نشوب الإختلاف وسوء استخدام الدين الإسلامي من أجل تغطية الدوافع السياسية، بخاصة بعد تمرد معاوية على الخلافة ثم اغتصابها، وادى ذلك بدوره الى ابتعاد العلماء تدريجياً

---

[156] -هذه المعلومات مقتبس من كتب التالية: أ- الموسوعة الميسرة .. المصدرالسابق ص145-147، ب- محمد مهدي الشمس الدين- العلمانية .. المصدرالسابق ص 91-92 ج- بنى مرجة -صحوة رجل المريض .. المصدرالسابق .ص165-، 261-

[157] - د. وميض جمال عمر النظمى واخرين –التطور السياسى المعاصر فى العراق، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى-جامعة البغداد ص31-32

[158] د.عدنان على –المسلمون .. المصدرالسابق ص112

[159] محمدحميدسليمان- الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج فى فترة مابين 1507-1525م ، مركز زايدللتراث ةالتاريخ ص69-72 .

[160] ستيفن لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ت :جعفر الخياط ط4، ص58 .

[161] - مقتبس من الكتاب د.عدنان -المسلمون .. المصدرالسابق ص 111 – 128

* - فكر الإسلامي شبيه بالفقه الإسلامي، الفقه هو ذلك العلم الذي يفهم الإنسان من شريعة، اما الفكر الإسلامي هو ذلك العلم الذى يفهم الإنسان من العقيدة والإيمان 0

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عن السلطة والسياسة، وهي بداية الشرخ بين: الدين والسياسة، القرآن والسلطان، العلماء والأمراء(أهل القلم وأهل السيف)..، وساعد هذا الشرخ على سوء الفهم لبعض الأحاديث مثل: (..ألا أن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا القرأن*)، ((اذا رؤي الأمراء على باب العلماء000)كذلك قول(أعمل لدنياك كأنه تعيش أبدا ...)كأنه يتحدث عن الكتاب والعلماء والأخرة من جهة وعن السلطان والأمراءوالدنيا من جهة أخرى، وتحقق هذا بالفعل بعد ان سيطر معاوية بالقوة والحيلة، وحولها الى الوراثة والإستبداد مما ادى الى ابتعاد مجموعة من القادة والعلماء مثل (سعد بن ابى وقاص، أبى موسى الأشعرى، أبى أيوب الأنصارى00) الى اعتزال السياسة، وذلك دفع بعلى ابن طالب بأن يعلق على هؤلاء المعتزلين عن السياسةوقال: (هؤلاء خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل)، هذا النفور والإبتعاد عن السياسة أدى الى فصل تدريجي بين المفاهيم الموحدة التالية: الدنيا والآخرة، العلماء والأمراء، العقل والنقل، الشريعة والقانون أو الدين السماوي والقانون الأرضي، سلطة الأرض وسلطة السماء، الدين والوطن، بالتالي فصل بين الإسلام والمسلمين ... واستمرت سلسلة الفصل هذه حتى شملت معظم امور الحياة البسيطة والمعقدة، اليومية والبعيدة، ..و في النهاية توجه العلماء نحو القلم والمنابر والمسائل الروحية والآخروية للأمة ورجال السياسة(الأمراء) الى منابر السلطة والسيف والأمور الدنيوية، لذلك نجد قلة الكتب السياسية في التراث الإسلامي، وهبطت منزلة السياسة من (أشرف العلم) الى (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة)، وقد تحقق في العالم الإسلامي ما سمي(بإتفاق بابا- موسوليني)المذكور آنفاً، وأصبح المسلمون للحكام طيلة فترة حياتهم وفي حالة الوفاة يأتي دور الدين .

من جهة أخرى عند إلتقاء الثقافة بين الحضارتين (الغربية والإسلامية) كالعادة يؤدي الى التفاعل بينهما، في البداية كان الغرب أكثر مستفيداً،[162] وهو شيء طبيعي للغرب، لا يغير من معنى وجوهر علمانيتهم (التي لا تلغى الدين ولا تأخذه كمصدر وحيد) لكن العكس ليس صحيحاً، أي الأمر بالنسبة للإسلام ليس طبيعياً، فإن اي اثر بشرى يحدث في المنهج الإسلامي يعتبر بدعة طالما الشريعة لا تقبل شريكاً، وهذا لايعني ان المجتمع الإسلامي وبنيته المعرفية والحضارية مغلقة، بل أبواب العلم مفتوحة مالم يمس المنهج[163]، لا سيما في فترات الضعف المعرفي الذي لا يميز بين ما هو علمي وما هو منهجي، كما جرى في أواخر ضعف الخلافة والهيمنة الأوروبية،وهكذا من السهل تكريم كل من: ابن رشد، وابن خلدون والغزالي والآخرين ... من قبل الغرب لقاء ما قدموه من خدمات لهم وللبشرية وتصنيفهم بالعلمانية كتكريم، لكن هيمنة الفلسفة اليونانية على الثقافة الإسلامية تعني أن الشريعة الإسلامية ناقصة وبحاجة الى ترتيب وإكمال .. وهي مرفوضة بنص الأية (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ)[164] على رغم من هذا عادت الفلسفة اليونانية والتجربة الغربية تدق أبواب الثقافة الإسلامية منذ العصر العباسي بشكل واسع، .. حتى نرى في (رسائل اخوان الصفا)[165] شعارهم(متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال) بحجة ان الشريعة تدنس بالجهالات فلا تغسل الا

---

* *أخرجه الطبرانى فى الكبير (20\90)والصغير (1\264)، وذكره إبن الحجر فى المطالب العالية (4348).

[162] - ويؤكد مصادرهم أن اول شعلة التي أضاءة أوروبا هو كتب ابن رشد

[163]- في سبيل توضيح ذلك انظر الى فرق بين المذهب والعلم:– محمد باقر صدر في كتابه (إقتصادنا..)

[164]سورة(آل عمران) اية(23)

[165] - حملا عنهم (51) رسالة، مركزهم بصرة، معجبين بافكار اليونانية لا سيما فيثاجورس وأهتموا بالحساب اكثر، أما رسالة اخوان الصفاء في الفلسفة تشمل: (رياظيات منطق، الطبيعيات، علم النفس، والأخلاق، ..) أنظر: معجم الشامل .. المصدرالسابق ص33. ومنجد اللغة والإعلام – ص28 إعلام

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بالفلسفة،[166] كذلك الأمر بالنسبة للمعتزلة، وغيرهم. والأمر لم يقتصر على التيارات الفكرية فحسب بل وصل الى التيارات الإجتماعية والطائفية، كالدروز مثلاً[167]، او الصوفية [168]وغيرهما، استمر توسيع إعتماد العالم الإسلامي على التجارب الغربية في نواحي أخرى من العلمية والتكنيكية والسياسية ... ولا سيما في فترة الخلافة (الرجل المريض)، وبات التغريب دواء لكل داء الخلافة ..، ومن الجهة الفقهية ايضاً نقاط ظعف خطيرة ،حتى وصل الامر الى اتهام العقل والفكر والفلسفة والعلم والتكنولوجيا وحتى تعمق فى البحوث .

اما داخلياً: فقد جرت مظاهر مشابه لما حدث بين العلمانية واللاهوتية في أوروبا، مثلاً جرى في عام 1737م إتفاق بين العالم الديني محمد بن عبدالوهاب مع حمد بن سعود على ان يتولى الأول الإمامة الدينية والثاني زعامة الدولة[169]، لاتزال هذه الإتفاقية سارية بشكل غير رسمى بعد أن ألغى عام 1929من قبل السعودية[170]، ويعتبر هذا أول إقرار مجاني بالحكم العلمانى ويعترف بفصل: الدين عن السياسة والدولة، والعلماء عن الأمراء ..، وتأسست الدولةالسعودية على أساسها، وفتح الأبواب المغلقة للدعوات أخطر منها فيمابعد من قبل بعض علماء الدين، فمثلا في سياق تحليل-أسباب إنحطاط العالم الإسلامي- الذي قدمه (عبدالرحمن الكواكبي) وسجل فيه 86 سبباً[171] وفي النهاية يقر صراحة بأن الشريعة غير صالحة لكل زمان ومكان والاجناس المختلفة، وفي كتابه (أم القرى) يربط بين العروبة والإسلام .. وفي بعض الأحيان يفرط ويقول: أن العرب أنسب الأقوام لكي يكونوا قدوة[172]، ودعا الى الأسلوب العلماني في إدارة الدولة،[173] ويقول محمد عبده: ((ليس في الإسلام السلطة الدينية سوى سلطة الموعظة الحسنة للدعوة الى الخير والتنفير من الشر)) [174]، هذه الآراء قريبة من آراء كل من (سبنوزا) و(فؤلتير)وغيرهما من الثائرين على الدين فى أوروبا، بهذا الصدد يقول شبلي عيسمى: ((حركة الإصلاح الديني في قرن 19 التي قادها رجال الدين المتحررين ضد شيوخ الإسلام الذين دعموا السلطة العثمانية الإستبدادية أمثال الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده، مهدت لأنتشار المذاهب السياسية المعاصرة كالقومية والإشتراكية والديمقراطية والعلمانية[175]))، وأحياناً رفعت الشعارات نفسها أثناء الإنقلاب ضد الدين والتحول الى العلمانيةفى أوربا، فمثلاً عندما كان سعد زغلول يطرح شعارات (تعانق الهلال والصليب) ويتردد معه أيضاً(الدين لله والوطن للجميع)[176]، وهناك قول مأثور آخر منسوب الى محمد عبده، جاء فيه: ((اذا تعرض العقل والنقل أخذ بما

---

[166] - موسوعة الأديان في العالم-ج: الفرق الإسلامية .. المصدرالسابق ص78

[167] - انظر الموسوعة الأديان .. المصدر نفسه، ج: دروز الموحدون ص 74-76

[168] - المصدر نفسه - ص77 ، كذلك انظر المنجد .. المصدرالسابق. ص 56 مادة: افلوطين

[169] د.صالح العابد –حركة الأستقلال العربى، رسالة الماجستر –جامعة المستنصرية، بغداد1988 ص12-13(هذه الأتفاقية مشهورة بتحالف الوهابى السعودى)

[170] د أحمد طحان –حتمية التغير فى الشرق الأوسط –دار المعرفة-بيرووت ،ط1 2006م ص385 .

[171] - د.صالح .. الحركة الأسقلال العربية .. المصدرالسابق ص 28 – 29

[172] - وهي دعوة شبيه من حيث الأساس بالدعوات الفاشية والنازية والطورانية.. وثم بعض أحزاب قومية العربية (مثل حزب البعث العربي الإشتراكي)

[173] - شبلي عيسمى - العلمانية.. المصدرالسابق. ص38

[174] - المصدر نفسه. ص28

[175] - المصدر نفسه. ص34 .

[176] - المصدر نفسه ص39.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

دل عليه العقل))[177]، وهي قريبة من أراء كل من: هو ايتهد[178]، ابى العلاء المعري[179]، اخوان الصفاء، وابن رشد التوفيقية صاحب القول ((لايوجد أي تناقض بين العقيدة الدينية والعقل، لكنه قال علينا أن نؤول الدين بما يتفق ومقتضيات العقل))، [180]و أخيراً صدر للشيخ علي عبدالرزاق شيخ الأزهر كتاب بأسم (الإسلام ونظام الحكم) حيث أنكر فيه وجود الدولة في الإسلام، لذلك لم يتردد بعض الكتب ان تصنف هؤلاء على الماسونية 0[181]

وهناك مظاهر أخرى مشابهةً لما جرى في أوروبا بين الدين والحداثة لاسيما في استانة (أستانبول)، فمثلاً كانت الطباعة آلة ضرورية، لكن أفتي بتحريم هذه الآلة [182]، لا سيما ان هذه الآلة مستوردة لأول مرة من قبل المسيحين في لبنان سنة (1732م)[183]، هكذا وقف رجال الدين أمام كثير من المشاريع التحديثية، وفي النهاية دائماً مثله كمثل أوروبا النصر للإنجازات العلمية والتراجع للفتوى الدينية، تحقيقاً لحكم هوايتهد، وذلك أدى الى تخلفهم وعزلهم عن الواقع، بالتالي تجرأ الأفندية (أو العلمانية الجديدة) في العالم الإسلامي بتصنيف الدين ورجال الدين ضمن عراقيل أمام الإصلاح والتقدم والحداثة[184]، هكذا جاءت دعوة التجديد والتغيير في قلب الخلافة وتحولها الى حركة جماهيرية سياسية ومن ثم آيدولوجية بإسم (العثمانية فتاة – أو تركيا الفتاة – جوان ترك) تقليداً لبريطانيا الفتاة وألمانيا الفتاة وايطاليا الفتاة، ومن أبرز شخصياتها (نامق كمال باشا – مدحت باشا) وأحياناً ترد أسماء مثل سلطان مراد، يعود تاريخ تأسيسها الى عام 1864 أو 1865م[185] وفي بعض المصادر الى عام1860 أو 1859، وكانت في البداية حركة إصلاحيةً ضمن الثوابت العثمانية، وشملت كل من يريد الإصلاح، سرعان ما تحولت الى جمعيةقومية تركية بإسم (الإتحاد والترقي) على يد كل من: (ابرهيم تمو، محمد رشيد جركس، د.عبدالله جودت، د.اسحاق

---

[177] - المصدر نفسه ص105.

[178] - الذي قال اذا تعارض العقل والدين فليقل العلم وليخرس الدين .

[179] - نقلنا عنهم قبل قليل .

[180] -(شبلي) المصدر نفسه ص 105 . جاء في موسوعة الأديان العالم: ج الدروز الموحدون ص 40-41 جذورمسألة العقل المفرطة جاء من قصة التالية: يورد ان الله ظهر نفسه على شكل (العلى الأعلى) ... وقال للعقل: لا دخل أحد جنتي – يقصد به الدين الصحيح- إلأ الميثاق بك وبمحبتك ومن أطاعاك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني) .

[181] - انظر: الموسوعة الميسرة .. المصدرالسابق ص147

[182] - الموسوعة العربية .. المصدرالسابق. ج6ص361 0 فى العراق أيضادارت هذا النوع من الصراع، ففى عام 1831م حاول قنصل البريطانى مع والى بغداد لتتخذ اجرائات وقائية ضد انتشار الطاعون، لكن رجال الدين منعوه وأعتبروا مخالفاً لأحكام اللقرأن بضريعة: لامرد لقدر الله. 0وهناك كثيرمن الأمثلة أخرى، منها انكار أى ربط بين المطر والبخار، وصدر كتاب من الرجال الدين بعنوان –السيف البتار على رقاب كل من يقول المطر من البخار- المصدر:د.على الوردى –طبيعة .. المصدرالسابق ص305

[183] موفق بنى مرجة –الصحوة .. المصدرالسابق ص195

[184] - الحداثة: modernism: ظهر في الأصل مع ثورة الفرنسية، وثم تلازم مع تطورات دولة رأسمالية، وطبقة البرجوازية، والنزعة الفردية والتنويرات اخرى عكس التقليد والمحافظة، يعتبر الحداثة في أوروباهى الحداثة الثانية، بإعتبار الحداثة الأولة ظهرفى ا ليونان القديم، وهي أوسع من تجديد، أما الذين ينتقدون الحداثة تسميهم (ما بعد الحداثة-post modern) التي بدأت في سنة 1970 تقريباً أنظر الموسوعة العربية .. ج 8 ص 82 وكذلك.

[185]- الموسوعة العربية .. المصدرالسابق ج6ص361-

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

سكوتلي) عام1889/7/14م[186]، تعود جذور القومية التركية السياسية (الطورانية*) الى النصف الثاني من القرن 19، وفي مرحلة كانت فيها القوميتان العنصريتان الفرنسية والألمانية تقدمان مثال الآيدولوجي القومي الرأسمالي أي علماني – التوسعي.[187]

وعقد أول مؤتمر للإتحاد الترقي في سنة 1907 في باريس وأنتخبوا (أحمد رضا بك) رئيساً له، وتوسع نشاطهم الى ان قاموا بإنقلاب وفرض المشروطية الثانية في1908/7/23 ، ونفى سلطان عبدالحميد في 1909 الى سلانيك بعد خلعه ، وظهر فيما بعد الثلاثي المشهور (انور، طلعت، جمال)[188] في الحكم العثماني الجديد، اذ بدأوا بإستخدام مفاهيم تركية قومية بدلاً من الملة العثمانية، وأعادوا فيها التأريخ على الاساس القومي التركي بدل الإسلامي، حيث ظهر أن تيمورلنك وهولاكو وجنكيزخان ليسوا سيئين كما جاء في القاموس العثماني .. بل أبطال في القاموس الطوراني ... وتحولت جمعية الإتحادوالترقى الى حركة طورانية بحلول 1913 بإسم (يني طوران[189] – أي طوران الجديد)، بدأت بتطبيق التجارب الأوروبية بإعجاب من الدستور والتعددية الحزبية واللامركزية...، ونتيجة لهذا الإعجاب دخلوا الحرب العالمية الأولى الى جانب ألمانيا، ظناً منهم أنها هي الغالبة، ادت هذه المغامرة الى إحتلال معظم أجزاءالدولة العثمانية بما فيها اسطنبول، وبرز فيها (مصطفى كمال)[190] أو أبرز بها حسب قول بعض المؤرخين أمثال – عبدالقدير الزلوم[191] – وبني مرجه[192] ...الخ ليحرر الأراضي التركية، وشكل أول جمهورية علمانيةقى 1923 مركزها انقرة، وفي 1924/3/3 الغى الخلافة الإسلامية نهائياً على وفق مبدأ (12)لمبادىءولسون وعلى وفق شروط لوزان أيضاً، بذلك تكون اول دولة علمانية في االعالم الإسلامي[193]، وانتشرت العلمانية فيما بعد في معظم الدول العربية والإسلامية من أندونوسيا الى المغرب كالأتى:

- من جانب ثاني أكبر دولة إسلامية بعدالدولة العثمانية وهي إيران، أخذت تتسرب العلمانية إليها أولا عن طريق إصلاحات الجيش بعد ان منيت بعدة هزائم مع روسيا، وخسرت قوقاز والقرغيزيا وأرمينيا فى النهاية 1813م[194].

- تزامنامع هذه الأحداث برز فى شبه المحيط الهندي رياح التغيير، ففي الهند بدأت العلمانية بعد مقتل سلطان بيتو المسلم اثناء مقاومته في 4 / مايو / 1799[195] واحتلالها من قبل بريطانيا، وفى أفغانستان بدأت العلمانيةوالتغير فى عهدى حبيب

---

[186] ينظر: أورخان محمد على –السلطان عبد الحميد الثانى –ط1\1987م، دار مكتبة الأنبار-العراق، الرمادى ص270-300 .

[187] حركة الأستقلال العربى .. المصدرالسابق ص116

[188] يصنف اتجاه كل منهم كالآتي: أنور نحو الإسلامية، طلعت نحو العثمانية، جمال نحو تركية.

* هناك إعتقاد بأن أصول عالم التركى تعود الى الطوران، وهى منطقة فى وسط اسيا غربى الصين ،وان اسم التورك اتى من توكييو الصينية اسم لقبائل ستبس كما جاء من دائرة المعارف الإسلامية .

[189] - بنى مرجة.. الصحوة.. المصدرالسابق ص188

[190] - موسوعة العربية... المصدرالسابق المادة:مصطغى كمال، وهو من أصل عائلةربيس يونانية- (ضابط كفوء، قاد المقاومة في اناضول أصبح أول رئيس جمهورية التركية الحديثة (العلمانية) لقب بالغازي، وثم ميللي جييف وثم أتاتورك .

[191] -عبد القدير زلوم -كيف هدم الخلافة –دارالأمة للطباعة للنشر والتوزيع \1962 ص78

[192] -بنى مرجة-صحوة رجل المريض .. المصدرالسابق ص265-

[193] -فى الحقيقة كانت السعودية هى الاول لكن تاخرت تكوين الرسمى لدولة السعودية لذلك تكون تركيا هى الاول

[194] - د.عدنان -المسلمون .. .. المصدرالسابق ص125

[195] - المصدر نفسه.. ص 127

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الله خان (1901 – 1919) وأمان الله خان (1919 – 1929)، وامتد ذلك التغيير و(العلمنة) الى عهد نادر خان وظاهر شاه، حيث قام الأخيرفي مؤتمر شعبي فداس بقدميه حجاب المرأة واعلن انتهاء ما كان يسميه (الظلام).[196]

-وبدأت العلمانية تصل حيثما وصل الإستعمار، ففي مصر منذ عام 1883م، والهند بعد سنة 1791، وفي الجزائر 1830، وتونس منذ 1906، والمغرب منذ 1913، العراق والشام – بعد الحرب العالمية الأولى، كذلك الأمربالنسبة لكل من: افريقا وجنوب آسيا [197]، وأخذوا بالقوانين الوضعية الغربية، ففي سوريا أخذ القانون المدني المصري برمته[198]، وجاء ترتيب القانونى كمايلى: التشريع الوضعي ثم العرف ثم الفقه الإسلامي ثم القواعد والعدالة ..و أصبحت الشريعة مصدراً إحتياطياً للقانون[199]، هكذا تكون الدول العربية الحديثة على أساس علماني، وبدساتير علمانية شبيهة فى المضمون مع الدستور الفرنسي لعام 1958م، حيث جاء في المادة (2)منه: ((أن فرنسا جمهورية لا تتجزأ، علمانية وديموقراطية إجتماعية وهي تضمن المساواة أمام القانون لجميع المواطنين دون تمييز بسبب الأصل والجنس أو الدين ..)[200])، متطابقة تقريباً مع الدساتير العربية بإستثناء كلمة العلمانية، وفي الدول العربية أخذ مضمون العلمانية من دون الإشارة اليها، ولعب الفقيه القانوني (المتفرنس) عبدالرزاق السنهوري المصري دوراً هاماً في ترسيخ العلمانية من خلال محتوى الدساتير وبنودها.

ولم تخل تلك العملية من التبشير في العالم الإسلامي، ففي (أندونوسيا) مثلاً حسب المبدأ العلماني (البانتشاسيلا- او المبادئ الخمسة المتلاحمة) التي أعلنت غداة الإستقلال في سنة 1945م من قبل سوكارنو أدى ذلك الى ترك 20 مليون مسلم لدينه وأعتنقوا الكاثوليكية [201]، ذلك يعني ان العالم الإسلامي بعد أن فقد أصالته في الدين بدأ يفقد المحتويات العقائدية والحضارية والثقافية ... وأصبح تابعاً ومقلداً متخلفاً، وبدأت الثقافات الغربية تغزو معظم حياة المسلم اليومية، وتغيرت بموجبها حياة المسلمين الشخصية من الزي والدوام والراحة (وبعضهم حول يوم العطلة الى الأحد، وبدل الحروف الإسلامية باللاتينية – مثل تركيا*)، وتغير المقاييس والموازين والتأريخ ... الخ

---

[196] - المصدر نفسه..ص 126

[197] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .. المصدرالسابق ج1 ص 369 – 370

[198] - محد مهدي شمس الدين - العلمانية .. المصدرالسابق ص 94

[199] - المصدر نفسه... ص 94

[200] ينظر: نص دستور الفرنسى الصادر عام 1958

[201] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة -اشراف:د.نافع بن حماد الجهنى – ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشروالتوزيع .... ص467(هذه الموسوعة تختلف عن الموسوعة الميسرة ..السابقة، بأضافة كلمة-الأحزاب-للتنويه)

* أستخدم د.عبدالله جودت الحروف اللاتينية لأول مرة فى كتبه، وهو أحد مؤسسى جمعية الأتحاد والترقى، ومن حيث النسب هو كوردى 0المصدر:مالميسانز... المصدر السابق ص4 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المبحث الثالث: نشأة الدولة بين العلمانية والإسلام

المطلب الأول: مفهوم الدولة

في المفهوم المعاصر ترادف الدولة المفاهيم التالية: الإمبراطورية، الشاهنشاهية، الخلافة، دار الإسلام[202]... وفي بعض الأحيان تعني الحكومة[203]، فالدولة والحكومة في تراث وثقافات كثير من الحضارات شيئ واحد، ولا زال الأنثروبولوجيون يساوون بينهما.[204]

ويرجع تأريخ ظهور الدولة بالمفهوم الحديث الى القرن(16 -17م)[205]، وهي ظاهرة سياسية وقانونية[206]، وجهاز سياسي أعلى للإدارة وتنظيم الحياة الفردية والإجتماعية[207]، لغوياً أتت دولة من ترجمة(state) وهى بدورها أتت من (ستان)[208] الآري الآسيوي[209] ويعنى الولاية أو الدولة[210]، وتحولت في الغرب الى (status) ومعناها الوضع أو المكانة، وإستخدمت (E state) للتعبير عن الطبقة الإجتماعية، ومنذ القرن (12) تستعمل لوصف الرتبة أو المركز العالي للحكام، وبحلول القرن (14) إستعملت(stute) لوصف وضع المملكة، ثم لحالة الإستقلال السياسي، فأطلقت (statue- الدولة) على الشكل الجديد للدولة الحديثة[211] .

أما تاريخياً، فإن التحولات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية والعلمية أدت الى ظهور الرأسمالية وتعزيز ثقل المدينة وتراجع سلطة الكنيسة، وظهور الأفكار القومية والعلمانية والديمقراطية فى أوربا، كل ذلك مهد التحول التدريجي من النظام الإمبراطوري الى الدولة الحديثة، وبدأت نواة الدولة الحديثة تتكون بعد معاهدة وستيفاليا عام 1648م التي تم فيها الإعتراف بالحدود والسيادة، حيث تجسدت فيها الدولة ذات الحدود القومية الخاصة، وبعد هذه المعاهدة تمت اعادة تشكيلة اوروبا من

---

[202] - دار الإسلام هو الأرض التي ينشر فيها الدعوة الإسلامية دون قيود، بذلك تختلف بعض الشيئ عن الدولة الإسلامية، ولكن هناك اخرين يساويها- (د.وهبة الزحيلى –فقه الأسلامى وأدلته... المصدر السابق ص6305)

[203] - ان الدولة تختلف عن الحكومة من حيث المحتوى والشكل.

[204] -لويس مبر - مقدمة أنثروبولوجيا الأجتماعية–تعريب:د.شاكرمصطفى سليم، دار الشؤون الثقافةالعامة، بغداد ص 126

[205] - الزحيلى .. المصدرالسابق ص 6304

[206] -د.عصام العطية - القانون الدولى العام-ط3\1983، وزارة التعليم العالى -بغداد... ص 189

[207] - غرافر روبرت -معجم الحديث لتحليل السياسى.، ترجمة:سمير عبد الرحيم الجلبى، دار العربية للموسوعات ط11999م... ص 430

208 - ستان يعني الأرض، أو مكان، أو وطن0أنظر:موسوعةالعربية الميسرة .. المصدرالسابق مادة:دولة

[209] - الموسوعة العربية الميسرة – المصدرنفسه، مادة: الدولة.

[210] حارث سليمان الفاروقي - المعجم القانوني – .. المصدرالسابق، مصطلح: (stat) ص658

[211] - المعجم الحديث .. المصدرالسابق. ص 430

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

جديد، وأصبحت الدول الأربعة (مملكة بريطانيا في عهد هنري السابع (1440-1509)، وإسبانيا، وفرنسا، وهولندا)* دولاً ذات سيادة بحدود دولية واضحة ومعترفة، ثم انتشر تدريجياً نمط الدولة الحديثة الحالية 0

لحد سنة 1997 وصل عدد الدول الناشئة الى 186 دولة رسمية في العالم[212] ، اما الأن وصل عدد الدول الى 194دولاً[213] ، أما (موسوعة البلدان) قد سجلت 354 كياناً سياسياً في العالم[214] من الدول والأمارات والمحميات التي -بدرجة أو بأخرى- لها شخصية قانونية نسبية، وعضوة في المجتمع الدولي ، وأوردت تعاريف عدة للدولة ومختلفة في النواحي القانونية والسياسية والفلسفية.. بعضها (أحادية الجانب)و بعضهاالأخر يتصف بشمولية أكبر ، حيث رصد كتاب (المنهجية السياسية)[215] حتى سنة 1969م 145 تعريفاً للدولة، ونذكر عدداً من هذه التعريفات من وجهة نظر المدارس المختلفة؛ منها:

1- المعجم الحديث ..[216] الدولة هي: ((مجموعة مؤسسات مستقلة عن مؤسسات المجتمع المدني وعن طريقها تحدد وتنفذ السياسة والقانون العامين)).

2- موسوعة علم الإجتماع: الدولة هي القانون والقانون هو الدولة.

3- القانون الدولي في الإسلام[217]: الدولة هي الشعب المنظم.

4- الوسيط القانوني: ((الدولة هي مجموعة من الناس تقطن بصفة دائمة في إقليم معين وتخضع للسلطة العليا)).[218]

5- المعجم الشامل: ((الدولة هي تنظيم سياسي يكفل حماية القانون وتأمين النظام لجماعة من الناس تعيش على أرض معينة بصفة دائمة))[219] .

6- تعريف معجم دهخودا الفارسية: ((الدولة هي إصطلاح معاصر وهي البقعة الخاضعة لحكومة ونظام خاص ولها حدود معينة وعاصمة محددة ومدن وقصبات مختلفة، وتربطها بالدول الأخرى علاقات سياسية منتظمة[220])) .

7-أما التعريف الأنثروبولوجي: للدولة هي: ((شعب أو شعوب تقطن اقليماً واضح الحدود، وتتكون من جماعة حضارية واحدة متجانسة، أو غير متجانسة، تحكمهم، وتمارس السيطرة الإدارية والعسكريةعليهم، وتدافع عنهم ضد أي اعتداء، هيئة يطلق عليها (حكومة)، ويطلق على الشعب (أو الشعوب) مصطلح (أمة) [221] .

8-قاموس (Oxford): الدولة هي الحكومة في أي قطر[222]، وذهب معجم (a dictionary of modern written Arabic)[223] وكذلك معجم (Longman)[224] بالتعريف نفسه.

---

* هذه الدول كانت موجودة قبل ويستفاليا، ينظر التفصيل: أ- موسوعة العربية- المصدر السابق - ج8 ص156، ب-ول ديورانت- قصة الحضارة- المصدر السابق ج2 ص125

[212] الوسيط القانوني .. ص40-)

[213] اخر دولة المنتمية هى جنوب سودان عام 2011.

[214]- موسوعة البلدان العالم .ترجمة:محمد عماد كفتارو، دار الرشيد –دمشق وبيروت (أنظر الفهرست الدول)

[215] د. ملحم قربان - المنهجية السياسية –، المؤسسة الجامعة للدراسات – بيروت، طبعة الرابعة 1989.

[216] - المعجم الحديث .. المصدرالسابق ص 430-431

[217] -عباس على زنجانى-تعريب:على هاشم، ناشربركزيده\سال 1373 ص 120

[218] -د.عبد الكريم علوان–الوسيط فى القانون الدولى العام، ط1\1997م، دار الثقافة –عمان ص40

[219] - العجم الشامل .. المصدرالسابق ص352

[220] - قانون الدولى في الإسلام .. المصدرالسابق– ص 120

[221] - لويس مير- .. المصدرالسابق ص427

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

9-يعرف تقي الدين[225] النبهاني[226] الدولة كما يلي: ((لا تطلق كلمة – الدولة – إلا على الجماعة السياسية التي بلغت درجة كبيرة من الرقى)) .

10- الدكتور وهبة الزحيلي[227]، وحسب العرف الحديث الدولة هى:((مجموعة كبيرة من الناس تقطن بقعة دائمة في إقليم جغرافي معين، وتخضع لسلطة عليا، وتنظيم سياسي معين)) .

11-هورير، الدولة هى: تنظيم سياسي وإقتصادي وقانوني لمقومات الشعب وخلق نظام إجتماعي مدني.[228] .

وهناك تعاريف كثيرة ومتفرقة بعضها أبرزت بأحدى عناصرالدولة أو أغراضها فقط، على سبيل المثال (برتملي) و(بلنشلي) عرفا الدولة قانونياً كما جاء في النقطة (3) وهى: (عبارة عن شعب منظم)، أما (تدتشك) فقد عرف الدولة بأنها قوة، وغيره اعتمد فقط على المعيار القانوني، مثلا (اسماين) عرف الدولة بأنها: (التشخيص القانوني للشعب)[229].

---

[222] - oxford، advanced learners، dictionary -sixth Edition، 2000، P1266

[223] - Hanswehr-third printing-P 302

[224] - Longman new ... P673- art: state.

[225] - مؤسس حزب التحرير الإسلامي

[226] - نظام الحكم في الإسلام - .. المصدرالسابق ص154

[227] -فقه الأسلامى وأدلته .. المصدرالسابق. ج 8 ص 6317

[228] - القانون الدولي العام- .. المصدرالسابق ص 189

[229] - المصدر نفسه – ص 189

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثانى: عناصر نشأة الدولة

فى عهد الإمبراطوريات لم يكن بين الإقليم (الوطن) والشعب(القومية) والسلطة السياسية علاقة مباشرة ،لذلك نجد ان اسكندر المقدونى انشأت الدولة من الشرق عاصمتها بابل ،والأيوبية فى المصر والعثمانية فى اوروبا،أما بعد نشوء فكرة القومية ونظام عالمى وفكرة الدولة الحديثة ،دخلت الإقليم والشعب والسلطة السياسية الى علاقة نشطة ،وعلى هذا الأساس اصبح فيما بعد احدى بنود قانون الدولى، لذلك قلما نجد فى المصادر التاريخية الحديث عن علاقة بين النشأة الدولة والعناصر المذكورة ،ظهر أول حديث عنه فى 1\8\1929 لدى المحكمة المانية –بولونية مشتركة حول شركة الغاز ،وفيها ربط بين نشأة الدولة والعناصر المذكورة .وثبت قانونياً فيما بعد فى إتفاقية مونتيفيديو عام 1933 المكون من 16مادة ،حيث تؤكد فى مادة الأولى[230] يجب أن تتوفر ثلاث عناصر أساسية لتكوين الدولة[231] وهي:

1- الشعب-(المقومات البشرية)
2- الإقليم-(المقومات الطبيعية)
3- التنظيم أو السلطة السياسية[232] -(المقومات الإدارية).

و في العصر الراهن هناك قسم من الباحثين يضيف (الإعتراف الدولي) كشرط اضافي لتكوين الدولة، وغيرهم من يُعِدَّ السيادة ركناً خامساً من أركان الدولة، أما الإسلاميون فينظرون أحياناً الى البيعة كركن سادس، بينما الآخرون يؤكدون ان السيادة موجودة ضمن العناصر الثلاثة المذكورة، فقد جاء في (القانون الدولي العام): الدولة مركبة من (4) عناصر وهي: الأرض، الشعب، السيادة، الحكومة، بما ان الحكومة تحتوي على السيادة لذلك لا يحتاج ذكر السيادة[233]، وتبقى ثلاث عناصر بشكل أساس .

على رغم من ان أكثرية القوانين الدولية مبنية على المفاهيم العلمانية، بيد أن هذه المعايير القانونية لا تتناقض مع مفهوم الدولة في الإسلام، كما تبين لنا من التعريفين (9)و (10)، ويقول د. وهبة الزحيلي: ((ان عناصر الدولة الحديثة نفسها كانت متوافرة في تكوين الدولة الإسلامية، ففي الحكومة النبوية التي أقامها الرسول (ﷺ) في المدينة، كانت المسلمون الأولون من المهاجرين والأنصار هم شعب الدولة، والشريعة الإسلامية هي نظامها، والمدينة هي إقليمها، والنبي صاحب السلطان، والجماعة الإسلامية تمثل الشخصية المعنوية للدولة، فيكون لها حقوق وعليها إلتزامات، وتظل المعاهدات التي يعقدها الحاكم الأعلى

---

[230] المادة الأولى فى نصه الإنكليزى ه: The state as a person of international law should possess the following qualifications: a) a permanent population; b) a defined territory; c) government; and d) capacity to enter into relations with the other states.

[231] يجب أن نلاحض ان هذه العناصر لا يعني عوامل كافية، كثير من شعوب إمتلك و يمتلك هذه العناصر ولم تنشأ له الدولة مثل كورد، والعكس كذلك صحيح بدون هذه العناصريمتلك الدولة مثل إسرائيل.

[232] - أ-القانون الدولي عام .. المصدرالسابق ص 192، ب- د.عبد الكريم علوان ...الوسيط .. المصدرالسابق. ص40 ج-محمد فاروق النبهانى –نظام الحكم فى الأسلام-جامعة الكويت \1971م ص22-26

[233] - قانون الدولي عام .. المصدرالسابق ص119

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

نافذة المفعول إلا اذا خرقت من قبل الطرف الثاني))[234]، ان هذه العناصر كانت موجودة في النظرية الإسلامية قبل أن تستقر في القانون الدولي العام، لكن بعناوين مختلفة، حيث أن الإقليم هو دار الإسلام، والشعب هو الأمة، والسلطة مثلت بالإمامة أو الخلافة، لذلك نرى الكتب الحديثة للفقه الإسلامي أيضاً تقر بالعناصر نفسها[235] .

وهذه العناصر هي:

العنصرالأول: الشعب: الركن الأول لقيام الدولة[236]، بدون شعب لا معنى للدولة، ولم يحدد في معيار القانون الدولي عدد النفوس الكافي لشعب الدولة[237]، ويمكن ان تنشأ الدولة في اقاليم متشتتة ومتجزئة ولكن لا تنشأ الدولة في شعب متفكك، ونأخذ هنا مثالين أحدهما يؤيد والثاني يناقض هذا المنطوق القانوني، اولاً: الشعب الأمريكي والبريطاني (بأستثناء الهنود الأصليين) كانا ينتميان الى عرق واحد(أنكلو-سكسونية)، لكن أختلاف اقليميهما ادى الى نشوء الدولة في كل إقليم مستقل، أما المثال الثاني فإن العرب شعب واحد ومتلاصق بينما أنقسموا الى (22) جزءاً سياسياً مستقلاً، أى أن وحدة إنتماء الشعب لم تساهم فى ايجاد دولة واحدة .ونجد كثيراً من الأمثلة الأخرى أبرزها تكوين دولة إسرائيل من شعب متبعثر، لذلك الشعب بهذا الوصف لايشكل أساساً قويا للدولة فى كل الأحوال. لذا من الضروري البحث عن الرابطة التي تجمع هذا الشعب* قبل نشوء الدولة، ومن هنا يظهر الفرق الأساسي بين السكان والشعب كما تبين من تعريف الشعب وهو: جمع من الأفراد من الجنسين معاً، يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين ويخضعون لسلطات دولة معينة[238]، وفي تعريف آخر الشعب: هو مجموعة من العلاقات السياسية والقانونية[239]، يتبين لنا من التعريفين أن الشعب عرف بوجود الدولة من جهة ومن جهة اخرى هو عنصر تكوين الدولة، أذن لابد من أساس آخر (خارج الدولة – أو قبل نشوء الدولة) عمل على تكوين هذا الشعب ومن ثم تكوين الدولة، وبالتالي نعتمد على وصف الشعب خارج إطار فكرة الدولة الحديثة كالأتى:

جاء في الصحاح: ((الشعب قبيلة عظيمة، وقيل أكبرها الشعب، ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ..)) [240]، أما الراغب الأصفهاني فيقول: ((اِن الشعب هو قبيلة متشعبة)) [241]، وجاء في لسان العرب:((الشعب قبيلة عظيمة، أبو القبائل الذي ينتسبون اليه، وقال ابن عباس: الشعوب الجماع، والقبائل البطون، بطون العرب ...)) [242]، ومن الواضح ان هذه الأوصاف تتطابق مع مفهوم المعاصر للقوم*، والأن يمكن القول بأن القومية هى نواة الشعب، ويمكن أيضاً إيجاد معنى الشعب

---

[234] د.وهبة الزحيلى .. المصدرالسابق س6311

[235] - د . فاروق- نظام الحكم في الإسلام .. المصدرالسابق. ص 154-157

[236] - قاموس السياسي .. المصدرالسابق ص 122

[237] - القانون الدولي عام – .. المصدرالسابق ص 203 وص 192 (و لكن نجد مثالاً أن عدد النفوس ومساحة الإقليم حالت دون انضمامه الى عصبة الأمم وهي لخنشتاين في عام 1930م (علاقات السياسية الدولية – .. المصدرالسابق ص 57)

* ان المصطلح السكان أو الشعب هو مصطلح قانوني لذلك من الصعب تحديد هويته وأساس روابطه، لذلك نحاول أن نؤوله الى مصطلح السياسى لكى يقبل المقارنة بين المفهومى العلمانى والأسلامى.

[238] - القانون الدولي العام .. المصدرالسابق ص 192

[239] - قانون الدولي العام في الإسلام .. المصدرالسابق ص 124

[240] - الرازي– مختار الصحاح–: دار الكتب العربي، بيروت مادة: شعب، ص338

[241] -مفردات ألفاظ القرآن –، الطبعة الأولى 1992، دار الحكم، ديمشق- مادة: شعب ص 455

[242] - لسان العرب – .. المصدرالسابق مادة: شعب، ج 2 ص 320

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

في عناصر القومية وتطورها كما جاء في (القانون الدولي في الإسلام): أن اللغة، والتأريخ، والأرض، والدم، والرابطة بين هذه العناصر تؤلف جماعة يطلق عليها علم القانون إسم الشعب وهيئة هي الحكومة[243]، أي أن الشعب من حيث الأساس منبثق من القومية ويعد عنصراً للدولة الحديثة[244]، وغالباً ما يرتبط الأفراد المكونون لشعب دولة ما برابطة قوية من التضامن المبني على التشابه في العادات والأهداف والآماني وعلى الظروف التأريخية والإقتصادية مما يؤدي الى إتحادهم في مجموعة متميزة من باقي الجماعات الأخرى ومن ثم تكوين الأمة، أي جماعة قومية، لذلك ذهب البعض الى إعتبار (الأمة – القوم[245]) الركن الأول (للدولة) عوضا عن عنصر: الشعب[246] .

وعلى وفق مبدأ القوميات تمنح كل (أمة) تتوافر فيها خصائص معينة، كوحدة اللغة والجنس والتأريخ والثقافة والدين والمشاعر النفسية ..الخ حقاً طبيعيا بأن تؤلف دولة مستقلة[247]، وهذه بدورها عناصر قومية، وبإختصار هذا يعني أن لكل قوم حقاً طبيعياً في تقرير مصيره وتكوين دولته المستقلة الذي شاع بإسم (مبدأ القوميات)، وبالتالى تعنى **أن القومية هى رابطة الشعب عند نشأة الدولة فى منظور العلمانية .**

أما العنصر السكانى أو الشعب فى المنظور الإسلامي ليس قوماً ولا مواطناً طارئا (ملاصقاً أو غير ملاصق)و لا يعتمد على الروابط اللغوية والعرقية والجنسية أو أية مظاهر تأريخية وبايولوجية، بل الشعب في المفهوم الإسلامي يتكون من أهل العقيدة المشتركة، الذين يستجيبون لدعوة الإسلام، ويسمى هؤلاء الناس (بالأمة)، بخلاف المفهوم العلماني للشعب والقومية التي تربط فيما بينهم بنسب واحد، بالتالي الإختلاف حول العنصر الأول من الدولة بين نظرية الدولة في الإسلام والعلمانية تكمن في مفهومي القومية والأمة في هذا العصر، لذلك نقف قليلاً عليهما:

القومية والأمة[248]:ـمر بنا تعريف القومية ومعالمها الرئيسة ومقوماتها، وتبين لنا أن القومية تختلف عن (القوم)، فالأول مصطلح سياسي بينما الثاني مصطلح إجتماعي، وعرف القاموس السياسي القومية كالآتي: ((يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتنظمها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية))[249]، وهذا التعريف مشابه للتعريف القانوني للقومية**[250]، وجاءت تعاريف أخرى أعتمدت على العناصر التالية (أو مجموعة منها) لتكوين القومية وهي الإشتراك في: التأريخ، اللغة، المصلحة، الدين، الوطن، النفسية، الثقافة، ...) ويعرف الإيطالي (ماتزينى) القومية بأنها (مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه

---

[243] - يقصد بالدولة في تداول الفارسى الحكومة وكذلك في (Oxford) الحكومة والدولة شيء واحد ص 1266.

[244] - بعض المرات يطلق مصطلح الأمة على قومية السياسية، وهي خطأ كما سيتبين فيما بعد.

[245] - يجب ان لا ننسى أن الأمة (أو المواطن) في القديم(بالأخص فى تراث رومانى واليونانى) ما كانت تعني جميع الأفراد أو سكان البلاد، حتى قبل ثورة فرنسا .

[246] - قاموس السياسي .. المصدرالسابق ص 122

[247] -أ- قانون الدولي العام –.. المصدرالسابق ص194، ب-قاموس السياسي.. المصدرالسابق.ص122

[248] - الأمة جاء بعدة المعاني في القرآن، لكن مانقصده الناس الذين يستجابون لدعوة الإسلام.

[249] -قاموس السياسي .. المصدرالسابق ص943

** - فقد جاء في كتاب (القانون الدولي العام)في مسألة مبدأ القوميات: ((غالباً ما يربط الأفراد مكونين لشعب دولة ما يرابط قوية من التضامن المبنى على التشابه في العادات والأهداف والأماني وعلى الظروف التأريخية والإقتصادية مما يؤدي الى اتحادهم في مجموعة متميزة عن باقي جماعات أخرى، ومن ثم تكوين الأمة أي جماعة قومية).

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

ببعض بوحدة الأرض والأصل ، والعادات واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي)[251]،..(أما في المنظور الإسلامي فقد عرف (القوم) باللغة واللسان فقط[252]، كما جاء في الحديث الأتى:((ايها الناس ان الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، وان العرب ليس لأحدكم بأب ولا أم، وانما هي لسان ...))[253] أي ان القوم ليس تجمعاً سياسياً بل هو إنتماء طبيعي، ضمن ترتيبات وإنتماءات اجتماعية، تبدأ من الفرد ثم العائلة ثم الفخذ ثم العشيرة فالقوم، وهذا المصطلح بهذا الفهم يخص العلمانية كما ذكرنا سابقاً . وتختلف القومية عن مفهوم الأمة كليا، وهي (أالأمة) مصطلح سياسي وعقيدي يخص الإسلام فقط، جاءت تعريفاتها متقاربة في المصادر المختلفة، فقد ورد تعريفها في كل من لسان العرب والصحاح كما يلي: ((الأمة هي الطريقة والدين[254])) وفي مفردات الراغب الأصفهاني جاء: الأمة: ((كل جماعة يجمعهم أمر ما أما دين واحد، أو مكان[255] واحد، أو زمان واحد[256]))، أما في الكتب المعاصرة فقد جاء تعريفها في كتاب (التأريخ الإسلامي): ((الأمة جماعة من الناس تربط برباطة العقيدة الواحدة على مدار التأريخ))[257]. ويضيف: ((الأمة لا ترتبط ببقعة أرض معينة، وإنما ساحة عمل الأمة المسلمة الأرض كلها . ولا ترتبط بالأصل ولا بالتأريخ ولا بالعادات ولا بالمصالح والإقتصاد))[258]. وجاء في كتاب (الفقه الإسلامي وأدلته): ((الأمة في االإسلام لا تربط بوحدة الجنس أو اللون أو الوطن..) ويضيف أن القومية في كل صورها الحديثة تتنافى مع مبادئ الإسلام[259]، وقد جاء تعريف الأمة متقارباً في كل من (موسوعة كشاف مصطلحات الفنون)[260]و (معجم مصطلحات أصول الفقه – د. قطب سانو – مادة: الأمة)، (معلمة الإسلام – انور جندي – المادة: المسلمون الأمة ...) ومع ذلك نجد خلطاً واسعاً بين مفهومي القومية والأمة لا سيما من جانب العلمانية وعلى المستويات: الدولية والمحلية وفي السياسة والقانون، وعادة يستخدم مصطلح الأمة-من قبل العلمانية- بدل القومية بهدف تعظيم القومية وتأصيلها سياسياً وتأريخياً وأحياناً دينياً، لأن مفهوم القومية الحديثة مستحدث وغير أصيل، ويختلف عن مفهومها القديم قبل مجيئ الإسلام وبعده، ففى السابق كان القوم يعني: ((جماعة من الرجال والنساء جميعاً، جماعة يقومون بشيئ وعلى شيئ، قيل الرجال خاصة دون النساء))[261] وبعد مجيئ الإسلام زال الإستثناء النسائى ثم عاد اليه ومن ثم في العصر الحديث حُوِرَ الى ذلك المفهوم الذي جاء في القواميس العلمانية، وقد استخدم في كل من ألمانيا وفرنسا وإطاليا مصطلح الأمة للدلالة على قوميات قوية البنيان لتُمَيَّزَ عن القوميات الضعيفة، ورافقت معهاالدعوات النازية والفاشية والشوفينية..، وفيما بعد انتقل الى الشرق والعالم الإسلامي وظهرت مصطلحات: الأمة العربية، الأمة التركية ...الخ . ولا

---

251 ـ ساطع الحصري- ما هي القومية ، (بيروت ، دار العلم للملايين 1963) ، ص40 .

252 - انظر أ- ابن منظور، لسان العرب – .. المصدرالسابق، مادة: قوم – ج -معجم الفاظ القرآن - .. المصدرالسابق مادة: قوم

253 ينظر:سعيد حوى –الإسلام- .. المصدرالسابق ص341

254 -ينظر:أ- صحاح .. المصدرالسابق ص26، ب- لسان العرب.. المصدرالسابق مادة: أمم ج1 ص 101

255 - يلاحض من تعريف الأصفهاني و(تأريخ الإسلام) مايلي: الأول ربط أحد جوانب الأمة بمكان، بينما الثاني بالتأريخ، لكن طالما دين الإسلامي مفتوح بإمكان أي شخص في أي زمان ومكان إنتماء اليه، لذلك يبدوا أن الشرطان غير دقيقة للأمة .

256 - مفردات الألفاظ القرآن .. المصدرالسابق:ص 86

257 - محمود شاكر –تاريخ الأسلامى .. المصدرالسابق ج 9 ص 23

258 - تأريخ الإسلامي – .. المصدرالسابق ج9 ص 23 – 28

259 - د.وهبة الزحيلى .. المصدرالسابق ص 6319-6320 ..

260 – .. المصدرالسابق ص2062،

261 - انظر (أ-ابن المنظور -لسان العرب .. المصدرالسابق مادة: أمة، ب- فيروز ابادى - قاموس المحيط .. المصدرالسابق مادة: أمة، ج – أصفهانى -معجم الألفاظ .. المصدرالسابق نفس المادة)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

زالت تستخدم هذه المصطلحات في العالم الإسلامي ولاسيما في الوسط العربي، أما في الغرب فإن مصطلح الأمة يستخدم الآن للدلالة على الدولة كما جاء في معنى (الأمم المتحدة) . وهكذا دخل مصطلحا الأمة والقومية الى المعاجم والموسوعات دون مراعاة الفروق بينهما، فالموسوعة العربية العالمية تبدأ بتعريف (الأمة) وتنتهي بالقومية أوعلى العكس من ذلك تبدأ بالقومية وتنتهى باللأمة، كالآتي: ((القومية تعبير سياسي، يعني شعور الناس بالإنتماء جميعاً الى أمة واحدة[262])) أما تعريفها للأمة فهي: ((مجموعة من الناس يتقاسمون ثقافة وتأريخاً ولغة مشتركة ولهم شعور بالوحدة القومية[263]))، وفي المصادر القانونية كذلك نجد الخلط نفسه، فقد عرف (القانون الدولي العام) الأمة: ((هي جماعة قومية))[264] ويقصد بها (القومية السياسية)، قلما تجد في الكتب الحديثة (غير الإسلامية) فرقاً واضحاً بين الأمة والقومية.

ان إستخدام الأمة بهذه الطريقة الشائعة أوقعت بعض الإسلاميين أيضاً في التردد بينهما، فمثلاً (سعيد حوى فى كتابه - الإسلام) حدد الأمة تحت تأثيرالمد القومي بوحدة العوامل التالية: العقيدة، العبادة، السلوك والأخلاق، الدستور والقانون، القيادة، التأريخ واللغة)[265]، وهكذا إعتمد على بعض العناصر القومية (التأريخ واللغة)، لكن يعود ويصلح الخلل في ص 284 في الكتاب نفسه ويقول: ((أما المجتمع الإسلامي فأرتباطه بالوطن والقوم بمقدار إرتباط هذا الوطن وأهله بالإسلام، فولاء المسلم لإسلامه أولا وأخيراً))، وهناك من يفصل بينهما لكن ضمن سياق القومية، فمثلاً (قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية) يقر بأن: القومية هي غير الأمة، ولكن لا يعطي المعنى الأصلي (الإسلامي)، بل في أرقى حالها تعطي المعنى الألماني أو الفرنسي أو الإيطالي، أو كما عبر عنها (م.ماكليفر) بقوله:

((أن الأمة هي تلك القومية التي تملك الدولة ومن ثم الدخول في علاقات مع أمم أخرى، وفيها ظهر مصطلح (الأمم)))[266].

ولكل قصتها، فالأمة في ألمانيا تؤسس على نظرية العرق، وفي إيطاليا على أساس التأريخ وفي فرنسا على أساس الوطن، أما في روسيا فهي على أساس المصالح الإقتصادية .. وإذا دققنا النظر في مفهوم (الأمة والقومية) يتبين لنا أن الإلتباس جاء بالأساس من ترجمة (national)[267] بـ(الأمة) وهى خاطئة، لأن أصل(national) بايولوجى وليس ايديولوجيا، ومشتق من (nasci) لاتينى، ويعني يولد-او الناس، أو من (nascene) بمعنى الولادة، وهي بدورها ترجع الى (nacmn-nation) أي مسقط الرأس[268] .. أي أنها جاءت أما من النسب أو الوطن .. و لا صلة لها بمصطلح الأمة، بل قريبة من مفهوم القومية ، وهذا الإلتباس يأتي من ترجمة هذه الكلمة الى العربية، لذلك نجدلدى الترجمة ال(نازية)[269] ثلاثة كلمات مقابل ناشن وهى:وطن، قوم، أمة .

---

[262] - موسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق ج 18 ص 427

[263] - المصدر نفسه ج 18 ص 427

[264] - القانون الدولي عام .. المصدرالسابق. ص 194

[265] - سعيد حوى - الإسلام - ط 2\1979م، دارالكتب العلمية –بيروت ص 341-342

[266] د.أحمد سيقان –قاموس المصطلحات.. .. المصدرالسابق، مادة: nation

[267] أول من ترجم(national) بالقومية بدل الوطنية هو ساطح الحصري، ومن ثم حولها الى الأمة– المصدر: معجم الشامل.. المصدرالسابق ص 661 ،ولكن قبله استخدم مصطلح امة من قبل مسيحى الشام من امثال نجيب عازورى فى كتابه (يقظة امة العربية)

[268] - قاموس المصطلحات .. .. المصدرالسابق مادة:national

[269] - وهي مختصر للحزب الإشتراكي الأمة الألمانية، ومكون من مقطعي أولي من (national sozialis tishe deuth arbeiar partei)\المصدر:قاموس السياسى مادة: نازى

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بينما الأمة فى المنظور الإسلامي لا تعتمد على الأرض والنسب كما جاء في كتاب (التأريخ الإسلامي) الأمة غير مرتبطة ببقعة أرض معينة[270] . ويقول (عباس محمود العقاد): الأمة لا تعني (national) ولا (people)ولا .(nascene).[271] بل مصطلح يخص الإسلام فقط، ويؤكد ذلك (مر. وات) في كتابه (الإسلام والجماعة المتحدة) أيضاً، حيث يقول: الأمة مصطلح يخص الإسلام فقط[272] . وبحسب القرآن الكريم (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ)[273] أي تتكون الأمة على اساس العمل الخير والعقيدة والدعوة، وعلى أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 0

اذن القومية مصطلح علماني يخص الدولة الحديثة، أما الأمة تخص المفاهيم الإسلامية، وهما مختلفتان تماماً (انظر جدول المقارن رقم-2-)، لذلك العبارات التالية: (الأمة الألمانية، الأمة الفرنسية، والأمة الكردية، والأمة العربية، وأمتي العربية والإسلامية ... جميعها خاطئةً في وجهة النظر الإسلامية، ويمكن أن نلخص الفرق بينهما ضمن سياق بحثنا كالآتي:

1- القومية هي مصطلح عمودي ضمن سلسلة إنتماءات إجتماعية (العائلة، القبيلة، العرق، الجنس، العشيرة، القوم) .. وهي إنتماء وصفات وراثية لا إرادية، أما الأمة مصطلح أفقي ضمن المصطلحات: العقيدة، الدين، المبادئ، الحزب) وهي صفات مكتسبة إرادية.

2- القوم يتكون من نوع واحد من البشر، أما الأمة بإمكانها أن تتكون من مجموعة من القوميات .

3- القومية نتاج تأريخي معقد لا تتكون بقرارات أو بإرادات، لذلك كانت إنتماءاتها ثابتة لا تتعدى جماعة من الناس، أما الأمة فهى حالة متجددة، دائمة، حيوية، حدودها مفتوحة، بأمكانها أن تشمل كل البشرية وبالتالى ان القومية تملك بعداً محليا أما الأمة تملك بعداً عالمياً، الأولى إنتماء وراثي لا يحتاج الى بذل الجهود من أجل بنائها، لذلك أحل الإسلام الإنتماء القومي وحرم الولاء له، أما الأمة هى بحاجة الى جهد لبنائها وتوثيق روابطها، والولاء لها . لذلك الدولة القومية إما تكون دولة غير آيدولوجية وإما تكون آيدولوجية على نمط الفاشية أو النازية أو الطورانية والبعثية، في حين- دولة الأمة- بطبيعتها دولة آيدولوجية إسلامية.

اذن الدولة التي تؤسس على القومية تختلف كلياً عن الدولة التي تؤسس على الأمة .

---

[270] - محمود شاكر- تأريخ الإسلامي – .. المصدرالسابق ج9 ص 26

[271] - عباس محمود عقاد - مايقال عن الإسلام، منشورات مكتبة العصرية.-بيروت ص 249

[272] - المصدر نفسه ص 249

[273] آل عمران –اية(104)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فالدولة فى المنظور الإسلامي لا تؤسس على الأساس قومي - الذى أسس العراق عليه وبقية البلدان العربية الأخرى -، فالإسلام والعلمانية يتفقان على أن أحد العناصر الأساسية لتكوين الدولة هو عنصر السكان (الشعب)، ولكن هذا ((السكان)) فى المنظور العلماني فى الأغلب هو القومية، فى حين نراه فى المنظور الإسلامي هو الأمة.

القوميــة	الأمـــة
عمودية	أفقية
محدودة ومحلية	عالمية (في الأمكان)
مرتبطة بالظروف التأريخية	مرتبطة بالنشاطات العقيدية
وراثية	مكتسبة
من نتاج بايولوجية	من نتاج آيدولوجية
لغة واحدة	لغات متعددة
حالة سائدة وأكثر واقعية	غير سائدة ونادرة في هذا العصر

العنصرالثانى: الإقــليــم: لغوياًمشتق من مصطلح (إخليم) اليوناني [274]، قديماً كان علماء الإسلام يحددون الإقليم بمساحة محصورة بين خطين من الخطوط السبعة الموازية لخط الإستواء[275]، وجاء في معجم دهخودا الفارسية: الدولة (كشور) تعني الإقليم الذي يشمل قسماً من أقسام السبعة المعمورة[276]، أما الإقليم في تراث الغربيين واليونانين لم يكن بهذا الحجم، بل كان يمثل ما تعارف عليه اليوم تقريباً[277] .

ويعرف الإقليم قانونياً بأنه: ((ذلك الجزء المحدد من الكرة الأرضية الذي يقيم عليه الشعب ويخضع لسيادة الدولة))[278]، ويعتبر العنصر ثاني للدولة في وجهة النظر القانونية، فلا دولةولاشعب بدون إقليم، صغيرةً كانت مثل دولة الفاتيكان أو كبيرةً مثل دولة أستراليا، فالدول الحديثة لا تعتمد على المساحة وعدد السكان، (في حين الإتحاد السوفيتي السابق مساحته 22 مليون كم2، بينما جزيرة بكترن -دولة في الصين - مساحتها التقريبية 5كم2 ونفوسها 75 نسمة، وجمهورية (نرو) مستقلة منذ 1968 مساحتها 22كم2، ودولة (ميديا) مساحتها 5 كم2 و2000 نسمة، [279] هكذا وفق القانون الدولي لا يوجد معيار معين لمساحة الإقليم، وتمارس الدولة سيادتها على الإقليم وفق شروط التالية:

1-كون الإقليم دولة مستقلة ولا تملكها[280] دولة أخرى[281] .

---

[274] -أ- موسوعة المصطلحات.. .. المصدرالسابق مادة: إقليم \أماحسب كتاب –العراق فى التاريخ-ان الأقليم جاء من(خكلم)البابلية-ص285

[275] أ – ياقوت الحموي- معجم البلدان.. المصدرالسابق ج1 ص 25-32 ب- شهرستاني - الملل والنحل –.. المصدرالسابق ج1ص 8 ج-ابن الخلدون- مقدمة .. المصدرالسابق ص77-110

[276] - القانون الدولي العام في الإسلام – .. المصدرالسابق ص 120

[277] - ياقوت الحموي .. المصدرالسابق ج1 ص32

[278] -د.عبدالكريم علوان- الوسيط القانونى .. المصدرالسابق ص 41

[279] -- قانون الدولي في الإسلام .. المصدرالسابق ص 105

[280] - رغم هذا الشرط نجد كثيراً من الدول نشأت في إقليم غير ملكها، مثال ذلك: أمريكا، وأستراليا، وإسرائيل، و...الخ . كذلك نشأت كل من عراق والأردن وسوريا ... تحت الإحتلال – أي كانت خاضعة لسيادة الغير، والمحتل هو الذي كون لها الدولة بإسم نظام الإنتداب .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2-الأقامة الدائمية للشعب على الأقليم وعدم ترحاله.

3-الوضوح والثبات لحدودالأقليم[282].

وتقاس حدود الأقليم عادةً على أساس حدود الوطن لقوم ما، لا سيما أثناء نشأة الدولة الحديثة عليه، وبذلك قد يتحول معنى سيادة الأقليم الى السيادة الوطنية في عهد عصبة الأمم، حيث نشأت في عهدها دول وطنية كثيرة، وبموجب مقررات العصبة فإن السيادة الوطنية كانت قاعدة أساسية لأستقلال الدول[283]، وهي شرط اكتسب بعد نشوء فكرة الوطن القومي منذ القرن 19 .

و قديماً لم يكن الأقليم (لدى فقهاء اليونان وأوروبا والرومان)ذا أهمية كبيرة فى تكوين الدولة[284] . أي ظهر هذا الشرط بشكل واضح مع بروز الوطنية القومية والمفهوم السياسي والقانوني للوطنية في قرنين (19 و20)[285]، وإن الرابطة السياسية بين الوطن والقوم قد مهدت الفكر السياسي والقانوني للدولة الحديثة ذات الحدود الثابتة والمعترف بها دولياً، وهي موضع الخلاف بين الدولة العلمانية والدولة الإسلامية المتطلعة الى الخلافة،اذ أن الدولة العلمانية تعتمد على الوطن القومى وبحدوده الثابتة كإقليم لها، أماالدولة الإسلامية فهى تعتمد على عنصر الأقليم لكن بمفهوم (دار الإسلام)، ومن هنا يرجع الإختلاف القانونى من حيث الأساس حول هذا العنصر الى الإختلاف السياسى بين مفهومي الوطن القومي ودار الإسلام، لذلك لابد من وقفة قصيرة (أخرى) عليهما:

الوطن القومي ودار الإسلام*: قديماً كانت تطلق كلمة (polis) على المدينة التي فيها إدارة محلية بإسم (دولة المدينة)[286]، ويقال استعمله الإغريق بمعني مدينة هليوبوليس أي مدينة هليو(الشمس)، وهناك معنى آخر للبوليس وهو الأرض المحددة(الأقليم) التي لها قانون وحكومة قانونية، وكان الروم يستعملون كلمة (cirvits) والماكيافيلية كلمة (state)للغرض نفسه، وأختير (reboblique)*[*] في مجال الحكومة والسيادة، وأخيراً جاءت كلمة (Etat) الفرنسية، و(State) الأنجليزية بمعنى الدولة[287]، أي ان الدولة أتت من الأقليم الذي حكم بموجب قانون ما، ولم تكن مرتبطة بنوع الشعب الذي يعيش عليه بخلاف القانون الدولي

---

[281] - المصدر نفسه..ص42-43 . مثل بعض الحالات التي تظهر، مثلا حكومة المنفى فوق الأراضي الدولة أخرى، الدولة بدون إقليم في بعض الأحيان تسمى (حكومة ديفاكتو)، رسول (ص) لم ينشأ الدولة في المنفى، بل أنشأ عندما إستقرت في إقليم ذات سيادة ولو صغيرة في البداية، لأن المدينة لم يكن سابقاً تابعة لسلطة أخرى، أما حسب معاير الإسلامية، الأمر يأخذ شكل طبيعي طالما لم يعترف تجزئة الأرض لهذا الغرض، لذلك يحل لها إنشاء الدولة على أي إقليم طالما لم يكره الشعب الموجودة فوق هذا الإقليم.

[282] - (القانون الدولي العام – .. المصدرالسابق ص 199) \هناك نظريات أخرى تتبنى الحدود المتحركة – كنظرية النازية، وبقية الإستعمار .. كذلك لحد الآن لم يعلن (إسرائيل) حدوده الرسمية0

[283] - الوسيطالقانونى .. المصدرالسابق .. ص 209

[284] - الصدر نفسه ص 41

[285] - المصدر نفسه ص 41، كذلك انظر الزحيلى .. المصدرالسابق... ص 6323

*هذه المقارنة سوف يستفاد منها فى فصل الثالث عند تطبيقها على نشأة العراق

[286] - في جمهورية أفلاطون، تقر بأن دولة المدينة هي أنجح أشكال الدول .

[*] * - بالأصل (reboblice) تعني أشياء العامة .

[287] - قانون الدولي العام في الإسلام – .. المصدرالسابق ص120- 12 .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المعاصر الذي يؤكد على عنصر الشعب وعلاقته بالأقليم، ونتج عنه المفهوم المعاصر للوطن الذي يختلف عن مفهومه القديم كما جاء في (معجم دهدخود) لمعنى الوطن (المهن بالفارسية) هو المسكن، ومحل الإقامة، ومسقط الرأس، وقريب من المعنى القديم للوطن كما جاء في كل من (لسان العرب) و(القاموس المحيط) بـ(منـزل الإقامة)، وأوردت موسوعة (دستور العلماء) معنى أكثر تفصيلاً، كما يلي: ((1- الوطن الأصلي هو مولد الرجل في البلد 2- وطن الإقامة: هو موضع ينوي أن يستقر فيه (15) يوما أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً، 3- ووطن السكن: هو موضع ينوي فيه لإقامة أقل من (15) يوماً))[288]، هذا هو التعريف القديم الذي جاء في المعاجم الإسلامية، ويوافق المعنى الغربي القديم للوطن (nascere- موضع الولادة)، ومن ثم (Nacere-Nastise- مسقط الرأس)0 أي أن تعريف الوطن فردي وليس سياسيا ولا جماعيا؛ومن هنا يتبين لنا أن هذا المفهوم تفسير بدائى للوطن لا ينتج عنه فكرةالدولة الحديثة (دولة –كشور)[289]، أن مفهوم الوطن لم يكن سياسياً إلا بعد ما تسيس المفهوم القومي على أساس المفهوم الفرنسي للـ(patriots)[290] ثم ربط القومية بالنسب [291]، تطور مفهوم الوطن سياسياً بعد ربط ولاء القوم بإقليمه***، ومن الناحية القانونية لا يرتبط الوطن بالتأريخ أو القوم أو الجماعة- بل هو علاقة سياسية وقانونية بين الفرد وإقليم معين،[292] ففى مفهومه السياسى ينشأ عنه دولة قومية، أما فى مفهومه القانوني ينشأعنه الدولة الوطنية، ففى الأول تتطابق الحدود القومية مع حدود الدولة وتسمى هذه الحالة بـ((الدولة القومية)[293]، وهي حالة تختلف عن الدولة الوطنية التي لا يشترط فيها هذا التطابق، وكلاهما وجه للعلمانية .

أما الوطن في الفكر الإسلامي فهو موافق للمعنى القـديم المـذكور أعـلاه، ويختلـف عـن دار الإسـلام الـذى هـو فكـرة في الشعور لا رقعة على الأرض وانه دار الأفكارو ليس دار التراب والأحجار، والإسلام يقرر مبـدأ اللاأقليميـة[294]، ودار الإسـلام بعينـه هو الأرض –وأوطان -التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية: ((بلا حجيد ولا حضير ولا جزية كما قال ابو منصـور البغـدادي))، وهـذا يعني أن الدار الذى تقوم عليه الأمة الإسلامية التي هي الأمة المستجيبة لهذه الدعوة[295]، فمن هنا فإن الوطن في الفكـر الإسـلامي

---

[288] موسوعة المصطلحات جامع العلوم – المشهور بـ(دستور العلماء) – لقاضي نكيرى – المادة: وطن .

[289] - المصدر نفسه ص 120

[290] - هذا المصطلح فرنسي من أصل إغريقي بمعنى (أرض الآباء) - معجم الشامل – ص 944

***\فى الغرب غلب مفهوم الوطنية على القومية تدريجيابعد ثورةأمريكا76 17، لأن الثورةالمذكورة تعبير عن وحدة القومية والأختلاف الوطنية، فغلبت الأختلاف الوطنى على وحدة القومية

[291] - معجم الشامل – .. المصدرالسابقص 944 – 945 .

[292] معجم مصطلحات القانونية - .. المصدرالسابق ص371، وص88

[293] - موسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق ج 18 – ص 427

[294] - د.وهبة الزحيلى .. المصدرالسابق .. ص 6322-6323.

[295] - هناك من يعتبر الدار الإسلام والدولة الإسلامية شيئ واحد- فقه الأسلامى وأدلته – ص 6306، وهناك من يفرق بينهما ص 6305، يذكر أن الأمة عملية دائمة، يظهر منها البنية التحتية والفوقية، والهرمية لذلك حسب تعريف القانوني المعاصر – بلنشلي- الذي عرف الدولة بأنها (شعب منظم) تكون دار الإسلام دولة مادام أمة أنظم من أي شعب منظم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هو دار تحكمه العقيدة وشريعة الله[296]، وهو يمتد ويتسع على وفق مستوى الدعوة الإسلامية التي لا تعرف الحواجز الجغرافية والإجتماعية والعرقية والجنسية والثقافية والحضارية ...، مداها الأرض كلها، ويرى الشافعي أن: ((دار الإسلام تعني العالم كله، الكرة الأرضية بحراً وبراً وجواً هي دار الإسلام))[297]، ويكرر ذلك فى كتب المعاصرة، فيقول سيد قطب):(المجتمع الإسلامي مجتمع عالمى، بمعنى أنه مجتمع غير عنصرى ولاقومى ولاقائم على الحدود الجغرافية، فهو مجتمع مفتوح لجميع بني الأنسان))[298] ، وهذا يعمم على جميع الأديان التبشيرية .

وعلى العكس الدولة الحديثة (العلمانية)التى تقوم على وطن مساحته جزء محدد من الأرض ذات حدود ثابتة وليس كل الأرض، والتي تسمى الحدود الدولية وتنتهي أطرافها ببداية حدود دولة أخرى .

أما الوطن في المفهوم الإسلامي لا يرتبط بالقوم أو أي مظهر جماعي أو سياسي، ومن هنا يتبين لنا ان المفهوم الإسلامي للوطن شبيهً بالمفهوم الشيوعي للوطن من هذه الناحية، الذي لا يربط دعوته بأقليم معين، كما جاء في (مانفست – البيان الشيوعي) – ان العمال لا وطن لهم)[299]، لذلك نرى تشابهاً فى الشعارات، حيث رفع المسلمون في عهد السلطان عبدالحميد شعار (يا مسلمي العالم اتحدوا)[300] كذلك رفع الشيوعيون فيما بعد شعار (يا عمال العالم اتحدوا)[301]، فكلاهما ينظران الى الإقليم والأمة والدولة ببعد عالمي .

ويأتي حديث (حب الوطن من الإيمان) مغايرا للمفهوم العام للإسلام، لذلك فإن غالبية العلماء يقرون بأنه حديث موضوع[302]، والذي يؤيد ذلك أن الهجرة مباحة في الوطن طالما الشروط الإسلامية غير متوفرة[303] ..، وهذا يعني أن المسلم يرتبط بعقيدته لا بالوطن، كما يقول سعيد حوى: (فلا وطن للمسلم الذي لا تقام فيه شريعة الله)[304]، المسلم عضو في الأمة المسلمة وعلى دار الإسلام[305] غير مرتبط ببقعة من أرض معينة[306] وقال الأفغاني: (لا جنسية للمسلم الا في دينه)[307] وكانت هجرة الرسول (ﷺ) من مكة الى المدينة خير دليل على كل ذلك[308] .

ينعكس مفهوما (دار الإسلام)و (الوطن لقومي) على الوحدة والإختلاف؛ ففي الوحدة: كلاهما (الإسلام والعلمانية) يقران بإنشاء الدولة على الإقليم، أما الإختلاف بينهما كالآتي: الإسلام ينشئ دولته على إقليم دار الإسلام المفتوح، كما أن الإقليم في

---

[296] - سعيد حوى -الإسلام – .. المصدرالسابق ص35

[297] -أ- موسوعة العربية – .. المصدرالسابق ج 6 ص 2004، ب- القانون الدولي في الإسلام .. المصدرالسابق ص 155، ج-موسوعة العربية الميسرة .. المصدرالسابق، مادة: دار الإسلام ص774

[298] سيد قطب –نحو المجتمع الأسلامى -دار الشروق ص92

[299] ماركس وأنجلس –بيان الشيوعى –دار التقدم \موسكو ص63

[300] - هذا الشعار جاء في عهد سلطان عبدالحميد، ضمن شعارات الجامعة الإسلامية، مع مجموعة من العلماء أمثال أفغاني، نورسي.

[301] كان يسود الشعار(جميع الناس اخوة) ثم تحول الى (يا عمال العالم اتحدوا) –ينظر: لينين –المختارات ج1 ص542

[302] - انظر سلسلة أحاديث الضعيفة للألباني برقم: 36

[303] - القانون الدولي العام في الإسلام . .. المصدرالسابق. ص104

[304] - الإسلام .. المصدرالسابق. ص 345

[305] المصدر نفسه.. ص 345

[306] - محمود شاكر- تأريخ الإسلامي .. المصدرالسابق ج9 ص 26

[307] -د.محمدعمارة –جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق، ط1\1984 ص136

[308] - لأن هذه الهجرة تعني أن بحث عن الدعوة أقوى من أي رابطة بالوطن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عهد النبي(ﷺ)كان عبارة عن المدينة وضواحيها، ثم أخذ إقليم الدولة يمتد في عهده وفي عهد خلفائه على النحو المعروف [309]، اما العلمانية [310] فهي تنشئ الدولة على أقليم (الوطن القومي) المحدد، كما رأينا ذلك في نشأة الدولة العراقية بداية القرن (20)نموذجا .

وهكذا العلمانية تعتمد على الوطن القومي المحدد والمغلق، والإسلام يعتمد على الوطن الإسلامي المفتوح المكون من عدة أوطان، وهذا الإختلاف ينعكس في معظم النشاطات السياسية لدى جانبى العلمانية والإسلام، في المنهج، والمسيرة، والوسيلة والهدف والستراتيجية والتكتيك والعلاقات و.. وما يبنى عليها، لذلك من المنطقى أن يقاوم الإسلام المشروع الإستعمارى للدولة الحديثة بينما العلمانية فى أغلب أحوالها مؤيدة لها كما جرت فى العراق الى ذلك فى الفصل الثالث 0

العنصر الثالث: السلطة السياسية (أو التنظيم السياسي)

التنظيم السياسي هو: ((مجموعة الأجهزة التي تضمن تطبيق القوانين، وعدم الخروج عليها، وتكفل سلامة المجتمع من الأخطار التي قد تهدده من الداخل والخارج، ويشمل التنظيم السياسي القوانين التي تضمن حريات الأفراد، وتحدد مسؤولياتهم، وتعين شكل السلطة المحلية الحاكمة، كما يشمل إقامة الهيئة العسكرية، أو شبه العسكرية التي تأخذ على عاتقها الدفاع عن المجتمع، في الداخل والخارج، ويختلف التنظيم السياسي في المجتمعات البدائية اختلافاً شديداً بالنسبة لحجم المجتمع وطرازه الإقتصادي[311])) .

و نشأت السلطة السياسية في دولة المدينة كجهاز أعلى وصدرت عنها قوانين لتنظيم المجتمع، والتزام المواطنين بها، ثم اكتملت مؤسسات الدولة ومقوماتها، واستمرت حتى عام 1924م، وهكذا أن الدولة الإسلامية تملك كثيراً من المميزات الخاصة بها، بيد أنها تتفق مع القانون الدولي العام بإعتبار أن السلطة السياسية ذات السيادة هي العنصر الثالث من عناصر نشأة الدولة .

اذ لم تكن كانت السيادة في الدولة الحديثة أحد الشروط الأساسية عند الجميع، فإنها في الإسلام شرط أساسى، فسيادة الدولة تكون ناقصة ما لم تتوفر للأقليم والشعب سيادة داخلية وخارجيةكاملة[312] ، وغير خاضعة لأوامر الإحتلال أو محميات(أنتدابات) الآخرين، وعلى رغم من ان في عهد عصبة الأمم كانت السيادة الوطنية شرطاً أساسياًً للإستقلال[313]، الا أنه نشأت دول كثيرة في العالم الثالث على طريقة المحميات والأنتدابات بما فيها الدولة العراقية الحديثة، وهي طريقة أحلت من قبل العلمانية وحرمت من قبل الإسلام، حيث أن النقص في السيادة مساس بعقيدة الولاء والبراء (حسب وجهة نظر الإسلاميين)، وهى من الثوابت التى ليست بيد صاحب الفخامة أو الإمبراطور أو الرئيس[314] (... ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)[315]، بناء على ذلك لا تقوم الدولة الإسلامية في ظل هيمنة الآخرين، إلا بزوالها، سلمياً أو عن طريق الثورة والجهاد، كما قام بها الإسلاميون في

---

[309] -د.وهبة الزحيلى .. المصدرالسابق ص 6321

[310] - بإستثناء الشيوعية .

[311] - لويس مير - مقدمة في أنثروبولوجيا الإجتماعي .. المصدرالسابق. ص 428

[312] - يعني سلطته لا يسمو عليها شيئ في الداخل ولكن تسمو فوق الجميع، فلا يكون سلطة العائلة أو رئيس فوق القانون، وفي الخارج سلطة دولة أخرى عليه .. ماعدا المؤسسة المتفقة أو اتفاقيات الدولية أو عهود والمواثيق دولية .

[313] - قانون الدولي العام .. المصدرالسابق. ص209

[314] - د.وهبة الزحيلي . .. المصدرالسابق ص 6314

[315] سورة(النساء)آية 141

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

أنحاء مختلفة في البلاد العربية والإسلامية أثناء الحملات الأستعمارية، ففي العراق تمثل ذلك في ثورتي (1919 و1920م) ضد الإنتداب والإحتلال، بينما الجمعيات العلمانية فى أغلب البلدان ساومت مع الإستعمار فى سبيل تكوين هذه الدويلات بناء على نقص السيادة، وهكذانجد أن نشأة (السلطة السياسية) فى المنظور العلماني تختلف كلياً عن نشأتها فى المنظور الإسلامي من حيث الأهداف والمنهج والوسائل والنتائج...

وهكذا انتهى هذا المطلب بعد بيان أهمية العناصر الثلاثة لنشأة الدولة (الشعب، ألأقليم، والسلطة السياسية)فى المنظورى الإسلامي والعلماني ووفق القانون الدولى وإختلاق بينهما ، وسوف نعودعلى هذه العناصر فى الفصل الثالث عند تطبيقها على نشأة الدولة العراقية قانونياً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المطلب الثالث: تحديد (الأثر العلماني والإسلامي في نشأة الدولة العراقية)

في بداية القرن (20)إنقسم العالم الإسلامي بما فيه العراقيون فكريا وسياسياعلى وفق أثر المدارس العالمية فيه، ومن أجل تحديد هوية – ما هو علماني وما هو إسلامي – وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة علينا أن نعرف شيئاً عن هذه المدارس ثم نظريتها عن الدولة.

المدارس[316] العالمية الرئيسة: هناك أربع مدارس رئيسة سادت العالم، ثلاثة منها مصنفة على العلمانية والرابعة على (الدينية –الإسلامية)[317].

إننا قد عرفنا العلمانية بشكل عام باللا دينية في المبحث الأول، ولكن اللادينية ليست شيئاً واحداً، وهي تشمل عشرات المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية والسياسية والإجتماعية .. منها:

1- في الفكر والفلسفة وهي: ، الوجودية، واللاأدرية، والشكية، والتطورية، والجدلية، والحلولية، والنسبية، والعقلية، والتجريبية، المادية والمثالية بجميع فروعيهما..،

2- في الفكر والسياسة: الليبرالية، والشيوعية، والإشتراكية، والحرية، والوجودية، والميكافيلية، والهوبزية، والشمولية، والكليانية، والمساواتية، والفردية، والوضعية ..

3- في الإقتصاد: الإشتراكية، والرأسمالية، والرفاهية، والفردية والمساواتية.[318]

4- في العلوم الإجتماعية والسياسية: المذهب القومي، مذهب نزعة الرجل الأبيض (سوبرمان)، والنازية، والفاشية، والشوفينية، والبعثية، والطورانية.. .

فضلا عن وجود مذاهب أخرى في الفن والقانون والتعليم و...الخ

أن بعضاً من هذه المذاهب قابلة للتطبيق والبعض الآخر بقى في الأذهان كأفكار مجردة، ومنها العلمانية الإلحادية المتطرفة أو الشاملة (أو القحة)[319]و منها العلمانية المعتدلة (أو الجزئية)[320] والمحايدة وهي الأصيلة، اما العلمانية المتطرفة تعادي الدين، ولا تسجل عادةً في برامجها- (ان كانت حزباً)، وفي دستورها (ان كانت دولة)- أية حرية للأديان مشروطة أو غير مشروطة، كالنظام الشيوعي والإشتراكي العلمي، وهناك علمانية أكثر شدة من التى ذكرناها سابقاً تسمى (بالعلمانية المطلقة) التي تتجاوز

---

[316] - هناك من يطلق (بدل المدارس) التيارات أو أنظمة .. لكن كما سنبين فيما بعد ان هذه المدارس لن يقتصرعلى (مفهوم التيار) بل يمتلك مقومات (النظرية والتطبيق) ولها مؤيدي ومعارض عالمياً، وبنيت عليها دول والأحزاب ومؤسسات سياسية وبوجهة النظر خاصة تجاه الكون والحياة والمجتمع والدولة ...، لذلك أخترنا المدرسة وهي أوسع من تيار .

[317] - هناك أحزاب دينية غير إسلامية منتشرة في العالم لا سيما في أوروبا أمثال لأحزاب المسيحية الديموقراطية أومسيحية الإشتراكية والليبرالية، هؤلاء لم يصنف على المدرسة الدينية طالما لا ينظم في برنامجه أجزاء متكاملة من عقيدة وشريعتهم كالكالفنين، بل برنامجهم توفيقية وترهيمية بين الدين والمدارس المذكورة أعلاه.

[318] - انظر أ- موسوعة الفلسفية المختصرة .. المصدرالسابق ص564-565، ب- معجم الشامل .. المصدرالسابق ص 765 - 785، ج- موسوعة الميسرة للمذاهب .. المصدرالسابق. ص 765-785

[319] -جاء في (معجم الشامل) في ص 563 ذكر (العلماني القح) حيث تنكر الدين، أما العلمانية الإعتيادية المسيحية واليهودية والمسلمة يصلي ويصوم ولا يهم تطبيق إقتصاد الإسلامي وشريعة وينكر الحدود ويتبنى الليبرالية والديموقراطية .

[320] -هناك كتاب لعبدالوهاب المسيري بإسم (العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية) ليفرق بينهما ...

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

على كل شيئ ولا تتجاوزها شيئ، وهذه المطلقية يمكن ان تتخذ الأشكال التالية: اليد الخفية وآليات السوق عند آدم سميت، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، والروح المطلقة عند هيجل، وقانون البقاء عند داروين، وإرادة القوة عند نيتشة، وعبء الرجل الأبيض في تشكيل الإستعمار الغربي، والتقدم اللانهائي في الحضارة العلمانية[321]0

من هؤلاء ومن المذاهب والتيارات المذكورة تشكلت المدارس الوضعية-العلمانية[322] الرئيسة، وعلى هذا الأساس يمكن ان نحدد ها كالآتي:

1- المدرسة الشيوعية: الشيوعية هي تعليم شروط تحرر البروليتاريا، وهى نظام إجتماعي لا طبقي، الملكية فيها عامة، والعمل لكل الناس بحسب قدراتهم ولكل نصيب في الثروة بحسب حاجاته[323]، وأول من طبق هذه الفكرة هو(لينين)[324] بعد ثورة اكتوبر سنة 1917م في روسيا، ، وتمثلت فيما بعد في دولة الإتحاد السوفيتي منذ تاريخ 1922/12/30م والتي نشأت من الجمهوريات التالية: (روسيا، استونية، لاتفيا، روسيا البيضاء، اوكرانيا، مالديفيا، جورجيا، لتوانيا، ارمينيا، آذر بيجان، توركمانستان، أوزباكستان، تاجكستان، قيرغستان)، وسرعان ما أصبحت قوة عسكرية وسياسية وحضارية عالمية كبيرة منافسة للغرب0 وفي عهد نشأة الدولة العراقية الحديثة كانت تعرف ب"البلشفية"[325]، حيث لم تتبلور في حزب سياسي عراقي إلا بعد عام 1934م .

2- **المدرسة الإشتراكية الديمقراطية:** ظهرت أنواع مختلفة من الإشتراكيات منها: الطوباوية، المسيحية، التجريبية، الثورية، العلمية، الديمقراطية[326]، ... وأهمها اثنتان وهما: الإشتراكية العلمية والإشتراكية الديمقراطية، الأولى هي الإشتراكية التي سبقت الإشارة اليها في موضوع الشيوعية، والثانية هى الإشتراكية الديمقراطية، وهي بخلاف (العلمية) تتبنى الوسائل السلمية والديمقراطية والإصلاحية*، في سبيل تحويل الرأسمالية الى الإشتراكية، يقول (كاوتسكي 1854 – 1938) ان الثورة الإشتراكية يمكن ان تتحقق بالأساليب الديموقراطية، والديموقراطية هي التي تتيح للحركة الإشتراكية فى كسب (الأكثرية الشعبية).[327]

---

[321] -عبدالوهاب المسيرى - العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة -دار الشروق، قاهرة، الطبعة الأولى 2002، ج 2 ص 471-474

[322] - هناك من يصف كل من (الأستعمار، الإستشراق، الشيوعية، الماسونية، الصهيونية، ودعاة التوفيق بين الأديان ... جميع هؤلاء في دعم حركة التغريب (العلمانية) - الموسوعة الميسرة . .. المصدرالسابق ص152

[323] -أ-فريدريك أنجلس - نصوص الختارة - أختيار والتعليق: جان كانابا، ترجمة وصفى النبى، منشورات وزارة الثقافة\1972 ص 32 – 52 0
ب- ف.كيلى وكوفالزون - المادية التاريخية – تعريب: صمد داود، دارالجماهير –دمشق\1975م . ص185

[324] -لينين إسم حركي بمعنى الحرية-المعجم الحديث... ص244، اسمه الحقيقي: فلاد يمير ايلتج، يرجع الحركة الشيوعية الى سنة 1903 بأسم البلشفيك - قاموس السياسي ...ص704

[325] - بلشفية باللغة الروسية تعني الأكثرية، ذلك الأسم الذي أختار (لينين) لجناحها ضد المنشفيه (بمعنى الأقلية) (معجم الشامل مادة: بلشفية) .

[326] - وقدجاء في (بيان الشيوعي – ماركس وأنجلس – ص68-83 أنواع الإشتراكيات التالية: 1- الإشتراكية الإقطاعية . 2- الإشتراكية البورجوازية الصغيرة . 3- إشتراكية الصحيحة (الماركسية). 4- إشتراكية المحافظة . 5- الإشتراكية الطوباوية .

* - فكانت هناك نصيحة مشهورة لماركس موجه الى الشيوعين ،و يقول فيها: (لا تكونوا إصلاحين بل كونوا ثورين)

[327] (كاوتسكي (1853- 1938)م تلميذ ماركس وصديق أنجلس مخالف لبيان الشيوعي. وجاء في أدبيات الماركسية اسمه بـ(المرتد) وعند لينين كتاب بعنوان (الى مرتد كاوتسكي) .

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

3- **مدرسة الليبرالية الديموقراطية:** كثيراً ما تستخدم الرأسمالية عوضا عن الليبرالية، وفي الحقيقة يمكن ان نعتبر الرأسمالية بأنها تخص الجانب الإقتصادي، والليبرالية الجانب الإجتماعي، والديموقراطية الجانب السياسي، وحقوق الإنسان الجانب الأخلاقي لهذه المدرسة ..، الليبرالية-التحررية بحد ذاتها تختلف عن الديمقراطية التى هي عقد سياسي وليس مذهب سياسي، بل الأولى هى مذهب أو مدرسة أو نظام أو حتى يمكن تسميتها بالدين (أو الوظيفة الدينية)، لكن الديمقراطية هي آلية، لا سيما الديمقراطية المباشرة (او الديمقراطية الأثينية)[328] حيث لا هوية لها، وخالية من أية آيدولوجية معينة، ويخطئ من يربطها فقط بالليبرالية أو العلمانية .. بل لا ترتبط بأية مذاهب وانما نتاج التجربة البشرية العامة، ومحايدة، أن الخلط بين مفهومى (الليبرالية الديمقراطية) و(الديمقراطية) دفع الكثير من الإسلاميين الى رفض الديمقراطية ويعدونها كفراً، ومن صنع الغرب، بينما الصحيح هو أن الليبرالية الديمقراطية هى منهج الغرب وليست الديمقراطية.

واعتبر الغرب رسالته من خلال (الليبرالية الديمقراطية) هي خير للعالم ونتج عنها الإستعمار الإستيطاني والإستعمار المباشر، والإنتداب والمحميات ..ولايزالون يؤكدون على أنهم محررين للبشرية، حيث قال في حينه (نايبول) قبل هندكتون وفوكوياما: ان الحضارة الغربية العلمانية الحديثة – هي الحضارة الملائمة لكل البشر.[329] وقد كرر رؤساء أمريكا دعوات مشابهة وبإسمها جرت الحملات العسكرية على العالم.

4-**المدرسة الإسلامية**[330]: لا نقصد بالمدرسة الإسلامية، دين الإسلام بعينه، بل المقصود بها الذين يحملون برنامج الإسلام السياسي، المتمثل بالحركات والأحزاب الإسلامية التي تطرح حلولاً للمشاكل المعاصرة، عن طريق مشاركتها في العملية السياسية* أسوةً بالأحزاب السياسية العلمانية .

- وهناك من يصنف القومية فى مدرسة مستقلة، بيد أن القومية ليست مدرسة ولاتملك محركاُ اَيديولوجياً مستقلاً، لذلك عند تحويل مفهوم القوم الى حركة قومية إحتاج ذلك الى إضافة مدرسة من المدارس المذكورة لإكمال اُيديولوجيته، لذلك نرى أن معظم الأحزاب والحركات القومية المعاصرة قد حملت اسماً مضافا لإحدى هذه المدارس كحزب البعث العربى الإشتراكي، حزب الديمقراطي الكوردستاني، حزب الإشتراكي الوطني الألماني... لذلك حركة القومية تتحلل فى نهايتهاالى هذه المدارس، وبالتالي لاتصل الى مستوى المدرسة .

- ورغم ان هذه المدارس(الشيوعية، الليبرالية، الأشتراكية الإسلامية) لم تتبلور بشكل واضح في العراق أثناء نشأة الدولة العراقية الحديثة، ولكن لابد من دراستها مختصراً لكي نتمكن من تحديد هوية المؤثرين فى هذه النشأة: ويمكن تطبيق هذه التوضيحات حول المدارس فى تحديد الأثر الإسلامي والعلماني فى نشأة الدولة العراقية الحديثة، بواسطة تحديد هويات الفكرية للجمعيات والشخصيات المشاركة فى العملية، كذلك تحديد هويات الدول المشاركة من خلال دساتيرهم، كالأتى:

1-الدول المشاركة: هى بالأساس بريطانيا كما سيتبين فى الفصل الثالث، ومن المعلوم أن بريطانيا تتبنى العلمانية –كما مر ذكرها فى مبحث الأول –.

---

[328] - يقول (جان جاك روسو): ان الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد أبداً (في العقد الإجتماعي .. المصدرالسابق ص 118)

[329] - العلمانية تحت المجهر .. المصدرالسابق ص 35

[330] - في سلسلة الكتب (الإنسان المعاصر والمشكلة الإجتماعية) إستخدم (محمد باقر الصدر) في كتابه رقم (1) المدرسةالأسلامية أيضا.

* - وبعض منها بطريقة مغايرة ..يؤمن بأن المجتمع ومؤسسات المعاصرة لا يتغير الا بطريقة جهادية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

2-الجمعيات والشخصيات العراقية، تلك هى التى تتبنى القومية والأقليمية والأشتراكية والليبرالية أوالتغريبية أو على الأقل لاإسلامية فى منهجها فهى علمانية، مثال ذلك جمعية العهد .أما إذا كان منهجها مستوحى من القراُن والسنة وحدهما فهى إسلامية-كما عرفنا فى المبحث الثانى –مثال ذلك جمعية النهضة وبقية نشاطات العلماء وأتباعهم.

3-الجماهير العامة، إن الجماهير الملتفة حول هذه الجمعيات المعارضة والمؤيدةلبريطانيا، تحدد أثرها على وفق هوية هذه الجمعيات، أما العشائر بطبيعتها التخلفية تصب نشاطها السياسى فى العلمانية ولو لم تكن ذات منهج علماني واضح.ومن الواضح أن العلمانية فى العالم الإسلامي لها مبررات قوية[*331] أثناء وبعد تكوين الدويلات الحديثة المسؤولة عن بقعة معينة من الأرض وشعب معين دون مسؤولية عن الأخرين .

4-وهناك شكل أخر لأثرالإسلامى فى هذة النشأة ،وهى بعد إخماد المقاومة والثورة الاسلامية يأتى من إستغلال المشاعر الإسلامية من اجل تكوين الدولة العراقية من قبل بريطانيا والعلمانية العراقية .

هذا التصنيف والتوضيح سوف تسهل لنا تحديدأثر أية نشاط تقدم لتكوين الدولة العراقية .

---

[*] مبررات العلمانية: ((من وجهة النظر العلمانية))

ان أستمرار النظام العلماني وما رافقه من التغيرات في العالم الإسلامي منذ بداية القرن العشرين لحد الآن، له مبررات كالآتي:

1- العلمانية والدولة الحديثة: بعد انهاء الخلافةفى 1923م، بات العالم الإسلامي تتكون من مجموعة دول على النمط الحديث، وتشمل ذلك الدولة الحديثة وعناصرها ومؤسساتها من الجيش والشرطة والوزارات ونظامها الإداري والقانوني، وتوزيع الصلاحيات والسلطات، وتداول السلطة والإنتخابات وتأصيل التعددية العرقية والطائفية والسياسية، وبقية المظاهر الديموقراطية والعلاقات القانونية الدولية، كل ذلك بني على أساس علماني، أي ان الدولة الحديثة ملازمة للعلمانيةوليست الدينية.

2- العلمانية والوحدة الوطنية: أن العلمانية في ظل النظام الدولي الحديث، تعطي حق المواطنة دستورياً لكل مكونات وأفراد البلد، دون تمييز، وبذلك توحد الكل في وحدة وطنية متماسكة، أما إذا أعطيت للدولة صبغة دينيه غير علمانية تؤدي الى إنفكاكها وبروز الخلافات والحروب العرقية والدينية والطائفية، لأن معظم الدول الحديثة مكونة من تعدد الأديان والقوميات والمذاهب، لذلك غالبية الناس يفضلون العلمانيةالتى تضمن الوحدة على الدولة الدينية التى تفرق الأمة، كما جاء في الشعر:

هيوني عيداً يجعل العرب أمة وسروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم[331]

3- العلمانية والحداثة[*]: العلمانية هي البديل الأوحد الذي يتلآم مع الديموقراطية والجمهورية واللامركزية والسوق الحر والتنمية والمجتمع المفتوح والحداثة، أما بديل النظام العلمانى هو عبارة عن العودة الى القرون الوسطى(انظر الجدول المقارن رقم -1-)

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الإسلام والعلمانية
وأثرهما فينشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الأول

مسعود عبدالخالق

" الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة"

This file was downloaded from QuranicThought.com